"لن تكتمل وظيفة التوثيق في حقول المعرفة في مجتمعنا بغير أن تبنى حوله الصورة"

(ديمة ميك بوسكي)

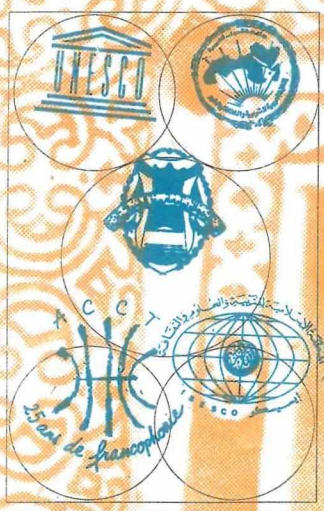

الموكب الثقافي

مجلة تربوية علمية ثقافية - تصدر عن اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والعلوم والثقافة

الخطاب التربوي في الحظرة الموريتانية

منزلة البحث اللغوي في تصنيف العلوم عند العرب

الوقاية من الايدز والامراض المنتقلة جنسيا

الاعلام والتغير الثقافي في موريتانيا

•• العـــدد 12 •• يوليو - اغشت 1997 •• الثمـــن : 200 اوقيـــة ••

الموكب الثقافي

مجلة تربوية علمية ثقافية . تصدر عن اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والعلوم والثقافة

ص ب : 5115 هاتف : 54803 فاكس : 52802

في هذا العدد

نظامنا التعليمي في الميزان

الخطاب التربوي في المحظرة الموريتانية،

تعليم المرأة ضرورة تنموية

المغرب والاندلس .. الاتصال والانفصال

عروة الزمان الباهي

منزلة البحث اللغوي في تصنيف العلوم عند العرب

الوقاية من الايدز

الاعلام والتغير الثقافي في موريتانيا

الاعلام والاسرة

الآراء الواردة في المجلة لاتعبر بالضرورة عن رأي التحرير

•• العـــدد 12 •• يوليو-اغشت 1997 •• الثمـــن 200 اوقيـــة ••

المدير الناشر:

اعلي ولد ببوط

رئيس التحرير:

محمد الأمين ولد المنير

المدير الفني

محمد ولد أحظانا

يساعده:

امبارك ولد بيروك
احمد ولد الشيخ
أحمد سالم ولد ببوط

سكرتير التحرير:

أحمد جدو ولد محمد

المحررون:

محمد فال ولد عبد الرحمن
بوبه ولد محمد نافع
الشيخ المعلوم ولد محمد سالم
مريم بنت بكرن
الأستاذ عبد الله السيد
لاله بنت محمد محمود

مصلحة المتابعة والاشتراكات:

سليمان ولد بونه مختار
الشيخ التحاني

الطبع والاخراج:

Infotex ABAS

سحبت المطبعة الوطنية

الإفتتاحية

عزيزي القارئ إن اعتزازنا بلقائك يزداد يوما بعد يوم خاصة وأننا التقينا ونلتقي دائما على الثقة وعلى ألامل بأن يظل العطاء متبادلا عبر هذا المنبر الذي شيدته اللجنة الوطنية الموريتانية للتربية والعلوم والثقافة، وهو منبر ماكان ليرى النورلولا دعم القيادة الوطنية وعلى رأسها فخامة رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيدي احمد الطايع الذي حرص دائما على نشر العلم والمعرفة ومامجلتنا هذه (المكوكب الثقافي) إلا تجسيد لهذا الحرص.

إن مسيرة الموكب الثقافي ستظل متواصلة وستبقى صفحاتها مجرى لانهار المعرفة الرقراقة ينهل منها المتعطشون الي عطاءات التراث البشري الخالد واكتشافات مكنونات هذا الكون الذي تتسع الدوائر المجهولة فيه بقدر مايتسع مجال الكشوفات، وبرهاننا على الاقتراب من الهدف المنشود يبقي مرتبطا بمستوى ردود افعالكم واستجاباتكم وانفعالاتكم بما يقدمه "كتاب الموكب الثقافي" الذين نحرص دوما على تنوع اختصاصاتهم ومشاربهم الثقافية عسى أن نوفر لكم مادة متنوعة وغنية ومتكاملة والعدد الثاني عشر الذي نقدمه لكم اليوم احد هذه الثمرات التي نرجوا أن نكون قد وفقنا في الوقوع على احتياجاتكم ورغباتكم ، وتبقى قلوبنا وعقولنا منفتحة لآرائكم واقتراحاتكم وكتاباتكم التربوية والعلمية والثقافية لتجد طريقها الي اخواننا القراء.

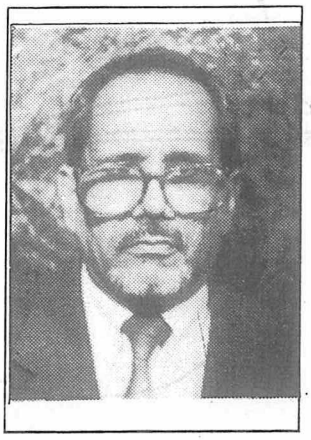

أعـــل ولد بـــبوط

***

نظامنا التعليمي في الميزان

الأستاذ حدرين ولد اسلم - جامعة انواكشوط

اخترت عنوانا يفترض حكما قيميا، وهو أمر ترفضه المناهج العلمية المتأنية وتقبله الدراسات الفنية الاستعجالية، ومبرر الاختيار ان هذا المقال هو بمثابة دق لنا قوس خطر لعل القائمين على هذا التعليم يتداركونه قبل ان ينجرف في الهاوية. ولكي لايكون حكمي جزافيا سوف أقوم في ثنايا هذا المقال بمحاكمة لهذا التعليم، وهذه المحاكمة ستتم علي أساس معيارين إثنين:

أ – النظام التعليمي الموريتاني في ميزان الاعتبارات التربوية العامة،

ب – النظام التعليمي الموريتاني في ميزان الاعتبارات الوطنية.

وسوف يتم التعامل مع هذين الاعتبارين علي أساس أن التفرقة بينهما مجرد مفصلة منهجية تمكن من إدراك حيثيات الحكم – العنوان ، وتمكن في الوقت نفسه من وضع كل جزئية في إطارها المناسب حتى تتضح الأمور ويعاد لكل ذي دور دوره.

I– النظام التعليمي الموريتاني في ميزان الاعتبارات التربوية العامة: يتفاعل في التعليم في أي منظومة فكرية جهات أربع لكل واحدة منها خصوصيتها ودورها:

1 – الادارة : ونعني بها الجهاز التشريعي والتنفيذي الذي يشرف علي سير العملية التعليمية ويعطيها بعديها النظري والعملي ويدخل في ذلك سلطة التوجيه والرقابة...

2 – الاطار الميداني: ونعني به المباشرون لعملية التعليم والقائمون بإيصال العلم والمعرفة الي المستهدفين بغض النظر عن وسائل الايصال، وتختلف تسميات هذه الفئة من مستوى تعليمي إلى آخر ومن حيز إقليمي إلي آخر، ولكن المضمون أو المسمى يظل واحدا.

3 –المتعلمون: وهي طائفة بشرية متفاوتة الاعمار والقدرات مختلفة المستويات والتسميات، هي أكثرالجهات حتي الآن حظوة وعناية ولكنها مع ذلك لاتزال أكثرها غوامض وظلمة، لأن تجلياتها لاحصر لها، تختلف من الذكر إلى الأنثى من الطفل إلى المراهق ومن المراهق إلى الراشد.

4 – الوسط الاجتماعي: وقد اخترت عبارة الوسط الاجتماعي علي حساب النظام السياسي الذي يؤطر النظام التعليمي ويحميه، فالوسط الاجتماعي حاضر التأثير في مختلف العناصر الثلاثة وفي الخيط المعنوي الرابط بينها الذي يسمى في قاموس التداول التعليمي البرامج ذلك أن البرامج في النهاية تمثل لقيم المجتمع وتجسيد لمنظومة تجريدية تتقاسمها مختلف الفئات الاجتماعية وتنأى عن الولوج في الحساسيات الخاصة بل تعمل على إذا بتها في قالب جمعي شامل، كما أن البرامج في مستوى ثان استجابة لطموح نظام سياسي يسعى إلي خلق اطرأكفاء.

إن النظرية التربوية الحديثة تنطلق من العنصر الثالث وتعود إليه، ولكنها في العودة تمر بمختلف العناصر الأخرى باعتبارها وسائل لاباعتبارها غايات فالمتعلم ينظر اليه باعتباره.

1 – كائنا تحت الوصاية، وصاية الأسرة فقط (التربية ماقبل المدرسية) أووصاية الأسرة والمدرسة معا (التربية المدرسية أو الصفية) وهذه الوصاية تختلفت حدة تأثيرها تبعا لاختلاف المستويات والأعمار، لكن التربية تسعى عموما إلي التخفيف من وقعها وجعل المتعلم في المقابل مسؤولا عن نفسه وذلك بغرس احساس بالذات وبالدور الاجتماعي الذي يمكن أن يلعبه في إطار المجموعة التي يعيش فيها وهذا هو موضوع التربية الاجتماعية.

2 – كائنا بريئا وخاصة في المراحل الأولى من العمر وبالتالي يمكن استغلاله وتوجيهه وفق أي وجهة شاءها المربي والمهم ألا يترك في ضياع وحيرة من أمره، لأن شيئا من هذا القبيل سيؤول به الي الشذوذ عن الاتجاه العام للنظام الاجتماعي أو النظام

السياسي.

3 – كائنا هشا ينبغي التعامل معه بحذر ولطف ولباقة حتى لاينكسر عوده منذ صباه وحتى ينمو في الفة وانسجام مع محيطه الخارجي، فعلم تربية الطفل يركز على الجانب النفسي إلي حد تكاد معه تغمض العين نهائيا عن الجانب التعليمي المحض، فهذه المرحلة هي مرحلة التربية القاعدية.

4 – كائنا متعدد الامكانيات والاستعدادات وعلى المربي أن يرجح لديه أحد الإستعدادات على حساب الأخرى ويعمل في ذلك الترجيح عدة عوامل أهمها الاستعداد الفيزيولوجي والعصبي للمتعلم والخيارات الارادية للمربي، وتارة يكون ذلك الترجيح كليا وتارة يكون جزئيا.

5 – كائنا يلعب دورا وظيفيا في الحياة، إماباعتباره عنصرا اجتماعيا مرشحا للقيام بدور اجتماعي في المنظومة الاجتماعية وإما باعتباره إطارا بشريا يهيأ لوظيفة ريادية وابداعية متميزة في إطار احتياجات محددة ومهيكلة.

فلو القينا نظرة على التعليم الموريتاني نجد أن المتعلم يتعامل معه باعتباره شخصا تام الاستعدادات والميولات، ولذا فإن جهات الاشراف لايهمها إلا أن تشبع له ظمأه المعرفي، فهو من الناحية النفسية متروك لجهات غير محدودة تؤطره وترعاه، لأن المدرسة الابتدائية لايتم التمهيد لها بتربية قاعدية.

فالمربي متروك إذن لزاده الاسري والاجتماعي يستنير به في تعامله مع المربَي، وهذا الزاد لايعدوا كونه تراكم اجتهادات مربين لقرون عديدة، وهذه الاجتهادات تؤطرها وتوجهها ابعاد دينية وحضارية، وفي نظري أن الارتجال في هذه المرحلة من التربية او تقليد النظرية التقليدية والاعتماد كلية عليها غير مسموح بهما.

فتعليمنا من هذه الزاوية هو تعليم خارج عن ضوابط النظرية التربوية الحديثة خاصة وأن هذه النظرية متطورة ومتجددة، لاتمضي سنة إلا ولها تعامل جديد مع الناحية التربوية للمتعلم وهي تواكب في ذلك تغير آليات التعليم نفسه بدء من الريشة والحبر في التعليم المباشر إلى البريد الألكتروني والطرق المعلوماتية. السيارة في التعليم غير المباشر.

ضف إلي ذلك أن المتتبع الحصيف لإكتتاب المربين منذ سنوات يدرك بداهة صغر سنهم، إذ لايتجاوز معدل الأعمار 19 سنة وعمر كهذا لابد أن يتلقى التأطير التربوي الكافي وإلا فسيترك لمجابهة معركة عسيرة ليس مسلحا لها بالتجربة اللازمة،ولكي ألخص ماأوردته مبعثرا أقول إن هناك عوامل ثلاثة تجعل تعليمنا غير منسجم مع المناهج التربوي المعمول بها في العالم اليوم.

أ – غياب تربية ماقبل المدرسة، ولايعني هذا بطبيعة الحال أني أجحد دور حدائق الأطفال الموجودة، ولكنه نظرا إلي قلة عددها وضيف انتشارها ومحدودية قدرة استيعابها يبقى دورها ضئيلا.

ب – غياب تكوين تربوي صلب للمربين

جـ – صغر سنهم وضآلة تجربتهم.

وجماع الأمر أن الاعتبارات الخمسة المذكورة أعلاه المتعلقة بالعنصر الثالث من العناصر الأربعة الواردة في بداية المقال لابد أن تعمق دراستها وتوضع في حسبان الأطراف الثلاثة الأخرى خاصة الأول والثاني.

II– النظام التعليمي في ميزان الاعتبارات الوطنية: نعني بالإعتبارات الوطنية ماسنه المشرع الموريتلاني من أهداف وغايات لهذا التعليم منذ أن أخذ الموريتاني ناصية تسييره فقد نص القانون رقم 75023 المنظم للتعليم الأساسي: "يهدف التعليم الأساسي إلى مايلي:

1 – أن يمنح جميع التلاميذ الذين وصلت أعمارهم سن التمدرس تعليما أوليا وتربية مدنية وأخلاقية مستقاه من القيم الروحية للدين الإسلامي الصرف ومتلائمة مع الوسط الطبيعي والبشري الموريتاني.

2 – كما يهدف إلى ضمان التكوين الأولي المستديم للمعلمين القائمين على التعليم الأساسي. 3 – تهيئة التلاميذ وإعدادهم لدخول السلك الأول من التعليم الثانوي الفني والمهني " أما التعليم الثانوي فينظمه القانون رقم 026 / 65 وقد نص في المادة الأولى على مايلي:"يهدف التعليم الثانوي إلى مايلي:

4 – تنمية القدرات الفكرية لدى التلميذ

5 – تنمية مواهبة وأحاسيسه الوجدانية.

6 – تزويده بالمعارف والعلوم التي بها يستطيع أن ينمي قدرة الابداع والخلق لديه

7 – تفتيح ذهنه وعقليته على عصره الذي يعيش فيه وجعله على دراية بمقتضيات الحياة العصرية.

8 – ربطه بمحيطه الاجتماعي وإحلاله موقع المسؤولية في إطار ذلك المحيط وفق منطق انسجام وألفة.

9 – تزويد سوق العمل بالاطار الفني المتوسط والعالي القادر على المساهمة في بناء صرح أمة موريتانية حديثة، ويعني هذا كذلك دمجه في الحياة النشطة والارتقاء به عن مستوي البطالة.

10 – ربطه بالهوية الدينية والحضارية لدولته، مع عقلية منفتحة تقبل الحوار والجديد دون أن يؤول بها ذلك إلي الاستلاب والتنكر لقيمها وعاداتها لأن هذه تبقى هي المرجع الفيصل في كل المثل الأخلاقية والدينية"

هذه باختصار هي مجمل الأهداف التي حددها المشرع الموريتاني للتعليم في مرحلتيه الأساسية والثانوية، ولم نورد الجانب التشريعي المتعلق بالتعليم العالي نظرا إلي عوامل ثلاثة: أولها الفراغ التشريعي في هذا المجال، فما يوجد من تشريعات يتعلق بكل مؤسسة على حدة وليست هناك – حسب علمي – نصوص تشريعية عامة تحدد لهذا التعليم أهدافا خاصة به تميزه عن مراحل التعليم الأخرى، وثانيها كون أهم مؤسسات هذا التعليم (الجامعة) تم إنشاؤها بصورة مرتجلة، إذ لم يمهد لإنشائها بدراسة فنية تهيئ الظروف والشروط التي تستطيع فيها الديمومة دون أن تنعكس سلبا على النسق الإجتماعي الذي تتموقع فيه، وثالثها أن هذه المرحلة – قد يكون هذا هو مبرر الفراغ التشريعي – هي استمرار طبيعي للمرحلة السابقة لها فهي تعميق لها.

فأين تعليمنا من هذه الأهداف؟

لايتسع المقام لتتبع تلك الأهداف الواحد منها تلو الآخر لنحاسب تعليمنا على أساس كل واحد منها على حده، وسنكتفي هنا بمحاسبته على أكثرها أهميته في نظرنا وهي الأهداف 1،6،7،9، متبعين في كل الحالات أسلوبا مختصرا.

1 – المراد بالتربية المدنية والأخلاقية هو غرس روح المدنية والخلق الحسن والكريم في ذهن الطفل، أي أن يعني من جهة واجباته إزاء المؤسسة المعنوية التي ترعاه والتي هي الدولة بحيث ينغرس في ذهنه احترامها وتقديسها واحترام وتقديس جميع القوانين والتشريعات التي تسنها حتى يغدو احترامها بالنسبة إليه مسألة فطرية وجلية تظل معه وترافقه طيلة مراحل حياته المقبلة إن قدرت له الحياة، وهذا الاحترام يقوده إلي أداء جميع الواجبات التي لها عليه دون تلكؤ ولاهوان، ومن جهة أخرى واجباته إزاء المؤسسة الموازية التي تكتنفه وهي المجتمع وذلك بتمثل اخلاقياتها وقيمها حتى يكون في تناغم معها.

إن الملاحظ البسيط يدرك للوهلة الأولى وهن العلاقة الوحدانية بين الفرد الموريتاني عموما وهذا الكائن المعنوي المعروف بالدولة، فهو كائن حديث النشأة نسبيا على الساحة الموريتانية ولذا فهو لم ينغرس في العقلية الجماعية بمعنى أن ماكان يحلم به المشرع الموريتاني في اللحظات الأولى من الاستقلال من غرس لمفهوم الوطن والدولة لم يتحقق بعد أي أن التربية المدنية فشلت في أداء مهمتها لأن الارتباط بالدولة واحترامها يستعاض عنه بالارتباط بهويات معنوية أخرى متأصلة في العقلية الجماعية أهمها القبلية والجهة والمجموعة العرقية والطبقية... وفي المقابل يبدو الارتباط بالقيم الاخلاقية أحسن وإن كان قد شهد هو الآخر هزة عنيفة تكاد تعصف به اليوم فمابقي منه هو مجرد ثوابت تكفل الدين السماوي بحفظها لأنها من أسسه القارة ودعاماته التي لاتتهاوى أبدا، وفشل المدرسة في تأصيل احترام الدولة ليست مسؤوليتها وحدها بل هناك عوامل عديد ومتداخلة ساهمت في ذلك الفشل وليس هاهنا مجال بسط الحديث فيها فلنرجئه إلى حين آخر.

2 – المراد بالتزويد بالمعارف والعلوم التي تنمي قدرة الابداع والخلق هو جعل التلميذ على أهلية فكرية تسمح له بتجاوز المرسوم سلفا وإبتداع شيئ جديد في شتى المجالات التي يرشحه استعداده الفطري وميوله الطبيعي إلي القراءة فيها والابتداع. لكن الحال على عكس ذلك اليوم لأن المعارف والعلوم التي يمنحها التعليم الموريتاني لاتزال قارة منذ حوالي اربعين عاما، لأن الاصلاحات الثلاثة التي توالت اهتمت اساسا بلغة التعليم وأغفلت نهائيا نوعية التعليم سواء تعلق الأمر بالعلوم الصحيحة أو بالمعارف الأدبية واللغوية والشرعية، وحتى هذا الذي يسمى في بعض الإختصاصات بالبرنامج التجريبي فهو لايضيف في الواقع شيئا ذابال، إذن فتعليمنا جسد تحجر الذهنية وعجزها عن الابداع والخلق.

3 – تفتح الذهن والعقلية على العصر ومقتضياته يعني قدرتهما

علي مسايرته واستيعابه واستغلاله لصالح الذات والوطن، وبما أن البرامج كما قلنا قارة منذ الاستقلال إلي اليوم فكيف يعقل أن تكون وسيلة ربط بين المتعلم وحياة عصره أو أفكار زمنه؟ إنها تربطه بالأحرى بمرحلة مضت من تاريخ الفكر البشري تراكم عليها زمن طويل وتخطتها معطيات العلم والحياة، ولولا القفزة الاعلامية لكانت ثمة هوة كبيرة بين الانسان الموريتاني و غالبية نظرائه علي الكوكب الأرضي.

4 – أما الهدف التاسع فهو أكثر الأهداف إشكالا وتعقيدا في الظرفية الحالية، ذلك أن تعليمنا يتم النظر إليه من الناحية الكمية فقط وقلما يتم التعريج على الناحية الكيفية، وهوأمر ينطبق علي جيميع مراحله ولعل إنعكاسه الاجتماعي أخطر فيما يتعلق بالمرحلة الجامعية فلو نظرنا إلى القدرة الاستيعابية لسوق العمل للاحظنا أنها – حسب دراسة أعدها بعض المختصين – بيعاز من ادارة الشغل والمندوبية انتقلت من نسبة 100 ٪ سنة 1985 الي نسبة 31 ٪ 1995 أي أنه على امتداد عقد من الزمن تراجعت نسبة امتصاص سوق العمل لحملة الشهادات المتوسطة والعليا بأكثر من الثلثين وهذا نقض صريح وصارخ لمنطوق الهدف التاسع. والسبب في ذلك يعود في نظرنا إلى عوامل معقدة ومتداخلة سنحاول باختصار إيراد أهمها:

أ – تراجع التكوين الفني المتوسط، ومعلوم أن الاطار الفني المتوسط يلعب دورا حيويا في عملية البناء الاقتصادي، وعدم وجود هذا التكوين يعني أن سبيل المتعلمين أصبح واحدا وهو التكوين العلمي العالي ولايعقل أن يمتص سوق العمل جميع المكونين. فلو أن التكوين الفني المتوسط كان يمتص قسطا منهم لخفت حدة الازمة الاجتماعية المتمثلة في البطالة، والملاحظ أن الاكتتاب على مستوى الوظيفة العمومية قد اقتصر على قطاعين يتفاوتان من حيث الأهمية هما: قطاع التعليم وقطاع الصحة، مع أن مايتم منهما لايسمى تكوينا فنيا متوسطا وإنما إكتتابا متوسطا وبين الاثنين فرق من الناحية الفنية والاجرائية.

ب – فرض تعريب التعليم وعدم تعريب الادارة والدوائر الرسمية عموما مما يعني في النهاية خلق قطيعة بين "ضحايا" التعليم والسياق السياسي والاداري المحيط بهم، فهم في فلك والآخرون في فلك، ومعنى هذا أن الأمل في الحصول على وظيفة ضرب من العبث لأن المعلومة الفنية أو التقنية أو الأدبية... لابد لها من ثوب لغوي يؤدي فيه ومالم يوجد هذا الثوب اللغوي فليس هناك قاسم مشترك بين الطرفين والمسؤولية في هذا الأمر تقع على عاتق المشرع المدرسي، فهو إما أن يراجع قرار التعريب الاجباري في التعليم أو يفرض نوعا من التعريب على مستوى الادارة والدوائر الرسمية وفي انتظار ذلك يظل المشكل قائما.

جـ – تراجع المستويات العلمية وتدنيها سواء على مستوى المعلمين أو علي مستوى المتعلمين، وهو تراجع يعود إلى عدم اكتراث الشباب اليوم بالعلم والمعرفة لأنهما لم يعودا يعطيان الضمانات المعيشية التي كانا يعطيانها بالأمس القريب أو إلى تقادم البرامج وعدم تلبيتها لتطلعات وحاجيات هؤلاء الشباب.

د – عدم مواءمة مضمون التعليم مع حاجيات سوق العمل لأن هذا التعليم لاينطلق من تشخيص حقيقي لطبيعة الحاجيات على مستوى القطاعين الخاص والعام. وحتى مايسمى بالتكوين المهني لم يعد هو الاخر مضمون التشغيل، وذلك عائد إلي خلل في التصور والتخطيط.

هـ – ضآلة جهود القطاع الخاص في دمج المتعلمين في سوق العمل، فالاتكاء حتى الان كان في الغالب الاعم على القطاع العام، ومعلوم أن هذا الأخير لايستطيع – حتي في أكثر الدول تقدما وتصنيعا – امتصاص جميع المتعلمين. وقد لوحظ في السنوات الأخيرة تحسن لدور القطاع الخاص ولكنه دور لايزال محتشما، ثم أن مايتم فيه من اكتتاب لاتراعي فيه ضوابط الكفاءة والخبرة وإنما تراعي فيه ضوابط أخرى.

إذن من خلال هذا العرض المختصر يدرك المرأ أن نظامنا التعليمي بحاجة إلي مراجعة لاكسالفاتها وإنما مراجعة عميقة تأخذ في الاعتبار كامل الأبعاد.

***

الخطاب التربوي في المحظرة الموريتانية

محظرة يحظيه ولد عبد الودود نموذجا

الأستاذ / حمزه بن أحمد بن المحبوب

مقدمة:

إن هذا الموجز الذي نحن له عارضون يصرح بعنوان "الخطاب التربوي" متخذا محظرة شيخ الأساتذة الأمام يحظيه بن عبد الودود(1) نموذجا ومثالا معولا عل ي"قراءة الدروس والألواح، ومقاربة وسائل الأفهام والإيضاح".

فمقصودنا من الخطاب التربوي الوقوف علي مختلف النماذج المعرفية التي تعمل علي تهذيب النشئ، وتربية الأطفال سواء تعلق الأمر بالترغيب في المذاكرة والحفظ، أو إتصل بجذب الطلبة إلي ساحة المعرفة والعلم ، أو إرتبط بطريقة الإلقاء والدرس ، أو مال إلى الجدل والحوار، والمناقشة والإقناع.

ونشير هنا إلي أن محظرة يحظيه قد كونت القوم تكوينا عاليا عبر مصفوفه من الأسس والمنطلقات التربوية، فكيف تجلت بصمات هذه المدرسة في الخطاب التربوي عموما؟ وماأبرزآثارها؟ وهل حدت من شأن العلم فأنطوى وانحسر.. أم إنها فتحت أمامه الأبواب فأمتد وأنتشر؟

ذلك ماتسعى هذه السطور إلى مقاربته منبهة إلي أن هذه المحظرة كانت مناط القصد وبيت القصيد، فهي ثمرة وتتويج لفترة من الدرس مضت وخلت، كما هي في الوقت نفسه تأصيل وتأطير لمرحلة منه أيضا خلفت وتلت. لذلك يمكن القول باطمئنان إنها حلقة وصل بين المحاظر، وربما درة نحر في معارف القوم، فلابأس أ ن نتخذها مثالا لأرقى ماوصلت إليه البلاد من الإزدهار العلمي في أواسط القرن الرابع عشر الهجري وأوائله حيث عرفت زهرة الحياة الثقافية ونضرة النعيم المعرفي بل صفوة ما إنتهى إليه الدرس الشنقيطي في التوسع والإستيعاب والتعمق والإستقصاء.

الأغراء بالدروس والألواح:

لم يبلغ القوم مابلغوا من التعمق في المعارف والعلوم إلا بفضل المدارسة والتكرار، والحفظ، والاستظهار، فأنجبت المحاظر من صفوتهم أعداد وسمتها ملازمة الألواح بسماتها الخاصة فبرزت رسل حضارة، بل أئمة في العلم عباقرة أفذاذ، فالقارئ لخطابات القوم وتاريخهم يدرك حقا أنهم لم ينالوا هذه المنزلة إلا بكثير التضحية وعظيم البذل، فمن المبادئ التربوية التي إنطلقوا منها حمل الطلبة على الدراسة وشدهم إلى الألواح، وإغراؤهم بالحفظ والتكرار، فقد عمل أشياخ المحاظر جهدهم على ربط التلميذ بالدرس وجذبه \إلي ساحة المعرفة مستخدمين مختلف الوسائل والخطابات مراوحين بين الترغيب والترهيب، معتمدين أحيانا اسلوبا تربويا ساخنا يرهبون به عدو الدرس والحفظ، إذ يوعدونه بالظهور أمام أترابه مقلدا عقدا من بعر الإبل أو روث الحمير، وذلك عندهم خزي عظيم، وأحيانا أخرى يستميلونه بالهبات والعطايا وأصناف الإرشاد والأغراء المعرفي.

وهكذا نشأ أبناء محظرتنا في جو ثقافي عماده الرفع من شأن العلم والإغراء بالألواح فهم يتعاطون في سمرهم تحريض الشيخ(2) سيدي على الألواح وتعريضه باللواعب الملاح يقول

(3) الطويل:

ومن كان ذاهم ولوح وطاعة

فلايدن للمستصبيات اللواعب

فما أفسد الألواح والهم والتقى

كبيض التراقي مشرفات الحقائب

كما يتناشدون في أنديتهم العلمية ومحاوراتهم الأدبية أبيات بن متالي(4) الداعية إلى إفناء العمر في القراءة والدرس اكتسابا للعلوم. والناهية عن تضييعه بحثا عن الدراهم والأموال يقول (5): الطويل:

خليلي أفن العمر غير الممدد

على نشب إن منه وأسيت يزدد

ولا تفنين العمر في جمع ماإذا

بخلت به تذمم وإن جدت ينفد

وزيادة على ذلك عمل أبناد هذه المحظرة بشكل خاص على ربط الطلبة بالدروس وشدهم إلى محاورة الألواح والطروس، فالشاعر محمدو السالم بن الشين (6) يذم الركون إلى الجهل والبطالة والذنوب، منوها بالألواح، محذرا من نمبذها وراء الظهور، وتركها عرضة لنسج لاعبات الشمال والجنوب يقول(7) الوافر:

ولاتك مثل من يرضى بجهل

والاستغناء بالحسب الحسيب

فما الآباء تنهض ذاخمول

وراض بالبطالة والذنوب

ولوحك إن لوحك خير إلف

يزينك في المجامع والألوب

ولاتتركه خلف البيت تسفى

عليه السافيات من الجنوب

أما محمد حامد بن آلا(8) فإنه ينادي إبنه محرضا على قراءة الألواح مؤكدا أنها تكسو الفتى كرما ومهابة، بل هي محمدة أبناء الزاوايا ومفخرتهم يقول (9) البسيط:

ياأحمد الحسن إقرأ لوحك الكرم

اللوح لا الأصل والدينار والنعم

الأصل لإبن الزوايا لوح أبدا

إن يخل منه فلا عز ولاكرم

المحظرة جذب للطلبة واستقطاب:

لابد من التنبيه إلى إزدهار العلم بساحة هذه المحظرة التي كانت أشبه ماتكون بجامعة متنقلة أو معهد عال، فقد كانت تؤوي بين أكنافها مايقارب نصف الألف من الطلبة موزعين على خمس كليات يتابعون دراساتهم الجامعية من السلك الأول إلى منتهى الدراسة الأكاديمية، فيمكن إذن الحديث عن وجود كلية للشريعة الإسلامية تضم شعبتين، أولاهما شعبة العقيدة والتوحيد وتقوم على دراسة إضاءة الدجنة أحمد المقري(10)، ومدارسة "وسيلة السعادة" للمختار بن بونه(11) وتكميل ذلك بالكبري والوسطى للسنوسي(12) وثانيتهما شعبة الفقه وفرعه وتنطلق من دراسة مفصلة لمختصر خليل وشروحه(13) وقد استحدث طلاب هذه المحظرة مؤلفا فقهيا مشتركا جامعا مفيدا يضم كثيرا من الأنظام والتقييدات والتعليقات والإستدراكات، والتصويبات، وسموه "كناش خليل".

أما كلية الآداب والعلوم الإنسانية فإنها تحتوي ثلاث شعب أولاها شعبة النحو واللسانيات، والصرف، "دراسة ألفية بن مالك مع توشيح المختار بن بونه لها وطرته عليها" (14) ، وهو مايسمونه "الجامع" أو "الأحمرار" وقد اجمع احمد بن كداه(15) أحد نبهاء طلبة هذه المحظرة معظم الأنظام النحوية واللغوية في مجموع كبير عرف بإسم جامعه، فتداوله الطلاب واصبحوا يسمونه "الكداهية" هذا بالاضافة إلى طرة "أم الحواشي"، وفي هذه الشعبة كذلك يتدارسون مخارج الأصوات وصفاتها متوجين ذلك كله بلامية ابن مالك وتوشيح الحسن بن زيد(16) لها واستكماله لابوابها.

أما الشعبة الثانية فهي شعبة : اللغة وآدابها ويدرسون خلالها ديوان الستة الجاهليين(17) وديوان غيلان، دون أن يهملوا كامل المبرد، وإشعار العباسيين، معولين على مراجعة كتب اللغة كالقاموس المحيط، وصحاح الجوهري، وغيرها.

أما الشعبة الثالثة فهي شعبة: التاريخ والسير والمغازي "دراسة نظم الغزوات وأنساب العرب لأحمد البدوي(18)، وقرة الأبصار

لعبد العزيز اللمطي(19) وغيرها.

والطريف لدي طلاب هذه الجامعة أنهم لايتخصصون في فن دون فن، بل يتابعون الدراسة بمختلف هذه الشعب، راعين من كل يانعة، مقتبسين من كل جني طيب، فكلما أكمل الطالب شعبة تركها إلي غيرها حتى يستوعب المعارف ويستكمل الفنون.

فكانت هذه المحظرة قبلة المتعلمين ومركز جذب للطلبة واستقطاب، فقد أشار ابن هذه ؟المحظرة أحمد محمود الملقب مم بن عبد الحميد(20) إلى أنها كانت ملتقى العلوم ومحط أنظار الأمم والشعوب، ومناخ المرتحل من الأحياء إذ يؤمها من حولها من أهل القرى فترتفع نغمات أبنائها مرددين دروسهم اليومية وتتعالى أصوات "التكرار" محدثة ضجيجا شبيها بضجيج الحجيج يقول(21) رجز:

وكل حي في العلوم مرتحل

إليه يضربون أكباد الإبل

لهم حوالي بيته ضجيج

كأنهم من كثرة حجيج

بل يذهب أبعد من ذلك مؤكدا أن إزدحام المدرسة وأكتظاظها شغل الشيخ عن التأليف وصرفه إلى بث المعرفة ونادر العلوم فطفق ينثر على طلابه الدر النفيس مبديا لهم كل يوم العجب العجاب، كاشفا لهم عن مخدرات المعاني كل ستر وحجاب، وذلك من طلوع الفجر إلى دلوك الشمس وغسق الليل يقول (22) رجز:

ولم يصنف الأزدحام المدرسه

عليه كل نفس تنفسه

في كا يوم يحدق الطلاب

به فيبدوا العجب العجاب

لثني دهمان العشاء الاخره(23) من بكر وضاح لهم مثابرة

وقد أشار العالم الأديب محمذن ولد حمديت (24) إلى الجو الثقافي المتميز لهذه المدرسة مؤكدا أن الطلبة لايحيط بهم عدد إذ يصادف القادم على هذه المحظرة النصوص المعتمدة كألفية بن مالك، واحمرار المختاربن بونه، ومختصر خليل، وإضاءة الدجنة، وديوان الستة، مسطرة في الدروس اليومية للطلاب موزعة بين الألواح مما يكشف عن كثرة التلاميذ وتعدد المستويات.

فذوا طلاب مبتدئون نقرأ في ألواحهم أبواب الألفية الأولى وهؤلاء متوسطون تطالع دروسهم الآبواب الوسطى، وأولئك منتهون إلى أبوابها الأخيرة مشرفون على التخرج وهكذا يقول: "أحد تلاميذ يحظيه أيام قدومي الأول عليه سنة : 1344هـ يبلغ نيفا وستين، وثلاثمائة مع أنهم يكثرون زمن الخريف بحيث لايمكن عدهم، وإنما يمكن عدهم وإدراك أسمائهم وصفاتهم في الأزمنة الأخرى، مع أنه لايمر زمن إلا قدمت منهم أفواج ويكاد يجتمع خليل في الواحهم وكذلك الألفية ومتعلقاتها، وإضاءة الدجنة، ولامية الأفعال، إضافة ديوان الشعراء الستة، والسيرة وغيرذلك"(25).

وزيادة على ذلك ينبه الشفيع بن المحبوب(26) إلى كثرة طلاب هذه المحظرة معتبرها معهد إشعاع ظلت مصابيحه تنير الدياجي مايربو على نصف القرن من السنين، يقول : "إن معهده – يعني الشيخ يحظيه – لم يخل من طلبة علم مامنذ جلس للتدرس وهو إبن خمس وعشرين (1290هـ) حتى لقي ربه سنة (1358هـ) – أي مايساوي (68 سنة) – وقد يصحبه من التلاميذ ماينا هز أربعمائة في وقت واحد فيضم بعضهم إلى بعض وقت تفسير الدرس إذ لايفي الوقت بإقراء كل على حدته" (27).

يتواصل

الإحالات:

1 – هو يحظيه بن عبد الودود الجكني نسبا القناني وطنا ومنشأ (1265هـ / 1358هـ) عالم جليل ومدرس فالق وشيخ حظرة شاذلية، كان مجمع العلماء ومؤلف النوابغ، منظومات وكنانيش مفيدة وتقيدات هامة بالإضافة إلى جملة من الفتاوي والأقضية والأمالي، نصف قرت وهو يعلم الأجيال ويكون الرجال.

2 – هو الشيخ سيدي الكبير بن المختار بن الهيبه الانتشائي (1190هـ 1285هـ) عالم جليل وشيخ حضرة ضوفية وإمام محظرة، أخذ عن حرمه بن عبد الجليل، وسمع الفقه في محظرة حبيب الله بن القاضي الأجيبجي، ونزل بحضرة الشيخ سيدي المختار الكنتي وصحب إبنه الشيخ سيدي محمد، له ديوان شعري

محقق، ومجموعة من الرسائل والفتاوي.

3 - احمد بن الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط. مطبعة الخانجين، القاهرة 1989 ، ص: 242.

4 - هو محمد فال بن متالي التندغي(1206هـ / 1287هـ) عالم جليل وشيخ حضرة صوفية شاذلية وإمام محظرة له مؤلفات عديدة منها "فتح الحق" بالاضافة إلي مجموعة من الأنظام النحوية والفقيهية والكلامية مع ديوان شعري.

5 - مقابلة مع العالم الجليل محدن الزايد بن الما في انواكشوط بتاريخ : 20 / 07 / 1997

6 - محمدو السالم بن الشيخ (1283هـ / 1388هـ) عالم لغوي متبحر وشاعر مجيد أخذ عن محمد فال بن محمذن وحامد بن محمذن والشيخ سيدي بابه، ويحظيه بن عبد الودود، ديوان شعري محقق.

7 - محمد خونا بن سيدي محمد: تحقيق ديوان ابن الشين المدرسة العليا للأساتذة/ انواكشوط 1982 ص: 21.

8 - محمد حامد بن عبد الله بن آلا الحسن (ت 1379هـ 1959م) عالم فقيه وشاعر نظامة قاوم بحزم مشاريع الاستعمار الثقافية فرفض افتتاح المدرسة العصرية الفرنسية في حيه.

9 - الخليل النحوي : بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس 1987 ص: 87.

10 - المقري هو: أبو العباس احمد بم محمد المقر التلمساني (ت1040هـ 1631م) مؤرخ وأديب مشارك في علم الكلام والحديث والتفسير، من مؤلفاته نفس الطيب وإضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة.

11 - المختار بن بونه الجكني (1080هـ1220/م) نحوي متكلم، وشاعر مجيد، مؤلف متوسع، راد الحركة النحوية ببلاد شنقيط بفضل نظمه تسهيل ابن مالك المعروف بـ(الجامع بين التسهيل الخلاصة \المانع من الحشو والخصاصة) كما ألف في العقيدة وسيلة السعادة" أخذ عن محمد بن أبو أحمد المجلسي وابنه البدوي وخديجة بنت العاقل، له ديوان شعري محقق كان أبا النحو، وعلم الكلام والمنطق والبلاغة وأصول الفقه بالبلاد.

12 - السنوسي: هو محمد بن يونس الحسني (ت 895هـ 1489م) إمام وفقيه مالكي له اجتهادات عاش في تلمسان وتوفي بها نبغ في العلوم الإسلامية لاسيما علوم الكلام "أم البراهين" في العقائد أو السنوسية الصغرى، شرح مقدمات الجبر والمقابلة لابن الياسمين.

13 - هو ضياء الدين أبو المودة خليل بن اسحاق الجندي المصري (ت 776هـ / 1274م) فقيه مالكي درس بمدرسة الشيخونية والتحق بالجيش فساهم في انتزاع الأسكندرية من أيدي الأفرنج سنة : 1366م له كتاب "المختصر وهو أكثر الكتب الفقهية تداولات بين المالكين ترجم الي الفرنسية.

14 - ابو عبد الله محمد بن مالك النحوي (ت 1203هـ / 1274) ولد في جيان، برع في النحو حتى كاد ينازع سيبويه.

15 - هو احمد بن بابو المعروف باحمد كداه الكمليلي (ت 1337هـ/ 1929م) كان من الطبقة الاولى التي أخذت عن يحظيه بن عبد الودود، وكان بارعا في النحو عرف بكتابه "الكداهية" وهو مجموع نحوي يضم كثيرا من الزنظام النحوية واللغوية التي تساير الألفية من الفاتحة إلى الخاتمة.

16 - الحسن بن زيد القناني (1235هـ1315/م) نحوي بارز وعالم جليل ونظامة مجيد كان شيخ محظرة، أخذ عن عبد الودود بن عبد الله الجيلاوي وتخرج عليه سيبويه عصره يحظيه بن عبد الودود، له توشيح على لامية بن مالك بالإضافة إلى نظم مستقبل في محفوظات الجمهوع وأنظام عديدة في مختلف المسائل النحوية.

17 - ديوان السمة الجاهلية: هو مجموعة شعرية لستة شعراء جاهليين اختارها الأعلم الشنتمري وهذه الدواوين الشعرية هي ديوان أمرئ القيس، وديوان طرفة، وديوان عنترة، وديوان النابغة، وديوان زهير، وديوان علقمة، وكانت هذه الدواوين عماد الدرس اللغوي بأرض شنقيط.

18 - هو أحمد بن محمد بن أبي أحمد البدوي المجلسي (ت 1209هـ / 1793م) عالم نظامة وشاعر مجيد أحيا أنساب العرب، بمنظومته عمود النسب، ومغازي النبي صلي الله عليه وسلم، وتقييد علي مختصر خليل في الفقه، بالإضافة إلي نظم في السيرة.

19 - اللمطي هو عبد العزيز بن عبد العرير اللمطي المكناسي الميموني (ت 880 هـ / 1475م) نحوي من فقهاد المالكية نسبة إلي لط من قبائل البربر بأقصى المغرب نزل المدينة المنورة، له ألفية في النحو.

20 - هو أحمد محمود (مم) بن عبد الحكيم الجكني (1312هـ / 1362هـ) أخذ اللغة عن عبد الله بن حمين الحسيني ثم التحق بمحظرة الشيخ يحظيه ليقيم بها عقدين من الزمن دارسا ومدارسا وقد برز في النحو والصرف له أنظام محاذية للألفية من الفاتحة إلى الخاتمة وله ديوان شعري وطرة \على المقصور والممدود وتقاييد على كثير من مسائل مختصر خليل في الفقه.

21 - محمد يحي بن سيد احمد: مجلة الوسط رقم : 5 يناير 1996 - مقال بعنوان : حياة يحظيه بن عبد الودود، نظم ممو بن عبد الحميد الجكني: تحقيق وتعليق ص : 57.

22 - المرجع السابق ص: 58.

23 - في القاموس : بكر الوضاح: صلاة الغداة، والعشاد الآخرة، بدل أو عطف بيان من قوله "لثني دهمان" والمثابرة مفاعلة من ثابر أي واظب والمعنى أن الشيخ يواصل التدريس من طلوع الفجر إلى صلاة العشاء.

24 - محمدن بن حمديت التندغي (1316هـ/ 1397م) عالم جليل وأديب شاعر له منظومات في النحو وأنظام في الفقه والعقيدة والتصوف بالإضافة إلى ديوان شعري يشمل الشعبي والفصيح، وكان شيخ محظرة وتخرج عليه العديد من الطلاب.

25 - محمد يحي بن سيد احمد: مجلة الوسيط: مرجع سابق الهامش رقم (4) من ص: 57.

26 - الشفيع بن محمد (ميميه) بن المحجوب (1321هـ / 1407هـ) عالم جليل، ونابغة عبقري ورجل سياسة وإمام محظرة وشيخا في التربية والسلوك، أخذ عن الشيخ يحظيه بن عبد الودود، عمل مدرسا ومفتشا في وزارة التهذيب الوطني، له عدة مؤلفات منها نظم في شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم، ومؤلف في صحة الإجماع، ومنظومة في تربية الأبناء، كما نظم مغنى للبيت نظما رائعا سماه "تبراس الهداة".

27 - الشفيع بن المحبوب: حياة الشيخ يحظيه والحديث محظرته، ورقات مخطوطة بحوزة العالم الجليل عبد الله السالم بن يحظيه مد الله في عمره ومتعنا به كثيرا.

تعليم المرأة .. ضرورة تنموية

الاستاذ الشيخ المعلوم ولد محمد سالم . اللجنة الوطنية

المقدمة

إذا انطقنا من مسلمة ان الاسان هو غاية ووسيلة التنمية فإن بناء هذ الانسان بناء متوازنا يمكنه من الانسجام الشخصي والحضاري والسيطرة علي محيطه لبناء الحضارة، فان اداته الاساسية لتحقيق هذه المبتغي هو التربية والتعليم بصفة خاصة وهذه الحقيقة يكاد يجمع عليها جميع المفكرين والباحثين في مجالات التربية والتنمية والتعليم وتركيزنا في هذا الموضوع علي تعليم المرأة يتاسس علي معطيات ذات صلة بواقعنا الموريتاني اذا ان مستوي التعليم في بلادنا لم يصل إلى اهدافه (مدرسة ومحو اميةا لجميع) رغم اقتراب سنة الهدف 2000وكذلك فان تدني مستوي التمدرس وارتفا ع نسبة الامية في صفوف النساءوكونهن ديمغرافيا في واقعنا اكثر من الرجال وخاصة في الفئات العمرية المنتجة إذا أن عددالنساء من الفية العمرية ما بين 35،20 يزيد علي عدد الرجال يواقع 116 مقابل 100 وهو مايبرز اهتمامنا بهذا المجال لبيان الضرورة التنموية لتعليم المرأة هذا الموضوع الذي سنتناوله من خلال المحاور التالية :

- واقع تعليم المرأة في المجتمع الموريتاني
- انعكاسات هذا الواقع علي التنمية الاقتصادية والاجتماعية
- التوجيهات المستقلة في مجال تعليم المرأة

أولا: واقع تعليم المرأة في المجتمع الموريتاني

أن موريتانيات التى تولت تسيير امورها عام 1960 لم تكن تتوفر علي نظام تعليمي رسمي يعتمد عليه في تعليم كافة الموريتانيين والموريتانيات وانما كان يوجد نظامان تربويان يتعايشان كل في اتجاهه احدهما (أهلي عرفي يهدف الي توطيد الثقافة الاسلامية واللغة العربية واصالة موريتانيا الشنقطية ويحمل في طياته الرفض الضمني او الصريح احيانا لكل ماسواه من انماط التعليم وخاصة ذلك الموروث عن الإدارة الاجنبية بأشكاله ومضامينه (لغته واهدافه) وإذا كان هذا الاخير يهدف الي تخريج كتبة وموظفين إداريين علي مستوي تسيير الادارة الحكومية من مستوياتها الدنيا وإذا كانت مسؤوليات التخطيط والتنفيذ في المستويات العليا من اختصاص مستشارين إداريين من بقايا دائرة المستعمرات وتراجم عايشوا تجارب رأسائهم الأجانب وهو ماجعل التمدرس بصفة عامة يظل محدودا بحكم عوامل ثقافية واجتماعية وقلة مشاركة النساء بصفة خاصة بفعل نفس العوامل لان المجتمع الموريتاني الذي يرفض المدرسة علي ذلك النمط الذي كان سائدا قد تتاح الفرصة فيه للرجال اكثر من النساء لاعتبارات ثقافية ذات بعد اجتماعي تقليدي مؤداه ان الرجل قوي وله امكانيات خاصة تجعله أهلا لأن يتعامل مع الآخر دون التأثربه بصفة مطلقة وهي فكرة قد لاتكون صحيحة بالمرة لأن الدراسات النفسية والتربوية لم تؤكد هذه الخصوصية إلا أن العادات والتقاليد غير الواعية هي المرجع الاساسي في هذا المجال وهي خصوصية لا تميز المجتمع الموريتاني عن غيره من المجتمعات المشاركة له في الخصوصيات العامة ومع التطورات الطبيعية والاجتماعية والسياسية التي عرفتها موريتانيا المستقلة بدأالتفاعل الداخلي يقود إلى تغيير في تلك الاعتبارات حيث يدأ الاقبال علي المدرسة يزداد تدريجيا مع تواتر الاصلاحات التربوية في طريقها الي التصالح النسبي بين المدرسة والمجتمع هذا التصالح تم بموجبه تذليل بعض المصاعب التي كانت تواجه التمدرس من جراء اعتبار المدرسة من باب التبعية الثقافية للمستعمر إذا اخذت اللغة العربية

والتربيية الاسلامية والتاريخ الوطني ادوارا مهمة في المقررات الدراسية كما ازداد الوعي بالحاجة الي العلم والتكنولوجيا والانفتاح علي الآخر وتبوء المكانات الادارية والسياسية في مراكزالدولة والمجتمع التي اصبحت تستغني شيئا فشيئا عن المسير الخارجي في طريقها إلى مرتنة العمل وهكذا أدت هذه الظروف مجتمعة الي ارتفاع مستويات التدريس بصفة عامة ولكنه مع ذلك لم يصل الي الاهداف المنشودة كما اسلفنا ولم يكن التوازن فيه قائما على مستوى الجنس والوسط الاستيطاني على الرغم من الجهود التي بذلت لتحقيق هذا التوازن فإن نسبة التمدرس في فترة مابين 1988و1994تراوحت في صفوف الاولاد ما بين 53 و 77;29٪ في الوقت التي كانت في صفوف البنات 34 - 65٪ وهي نسب تؤكد ضرورة العناية بتمدرس النساء خاصة إذا ما علمنا انهن يشكلن 51٪ من (جمالي السكان المقدرين 2346752 نسمة حسب

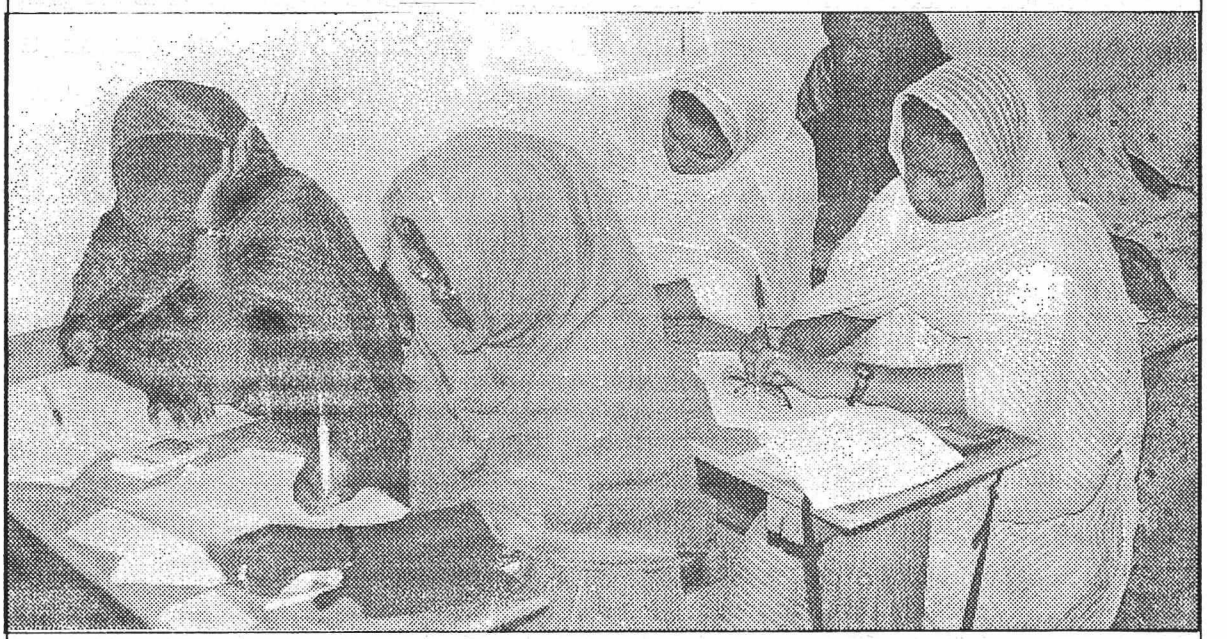

تقريرات 96وانطلاقا من هذا الواقع وتأسيسا عليه فان المهتمين بمشكلة التنمية يواجهون جملة من التحديات في مجلات

التكوين والعمل والكفاءة الانتاجية خاصة إذا ما علمنا انه في عام 1992 كان عدد البنات اللاتى يصلن الي التعليم الثانوي يساوي نصف عدد الاولاد وذلك من جراء جملة من العوائق الاجتماعية والاقتصادية حيث يعرف تمدرس البنات حملة عوائن نذكرمنها

- تدني مسنوي الوعي بفوائد التمدرس في مجتمع تتجاوز الامية فيه 50٪ وقد تجاوزت في صفوف النساء60٪
- اعباء الانشطة المنزلية التي تتولاها النساء الامهات اللاتى بحاجة الي مساعدة بناتهن
- الزواج المبكر خاصة في الاوساط الريفية والاوساط الاقل حظا من التمدرس إضافة الي الارتفاع النسبي لكلفة تمدرس البنات الذي قد يتطلب تنقل العائلات من اماكن اقامتهمن الاصلية خاصة من المراحل الاعدادية والثانوية وتبقى الاعتبارات الاجتماعية المتعلقة بالنظرة الي دور المرأة ومكانتها في المجتمع

ومستوي الوعي لدى الانسان (الرجال - النساء) المعشعشة في كيان ذلك المجمتع التقليدي الا ان إرادة التنمية والنهوض بهذا

الواقع بتطلب ادراكا كليا لمفهوم وغاية وسيلة التنمية

ثانيا: انعكاسات هذا الواقع علي التنمية الاقتصادية والاجتماعية

اصبح من المجمع عليه لدي معظم الدارسين ان التنمية اي دفع مستويات التقدم الاقصادى والاجتماعى ومستويات الانتاج التكنولوجي والفكرى عملية حضارية تتطلب التأثير الفعلي علي ثقافة المجتمع بكاملها ووسيلتها الاساسية هي الانظمة التربوية (التي "اصبحت مؤسسات حديثة من انتاج هذه الحضارة وصيغة من صيغها تبنتها المجتمعات النامية فيما تبنت من المؤسسات والنظم التعلمية وهي بالتالي امتداد للتنشئة الاجتماعية وترشيدها في وظيفتها وتنظيم علمي لمواجهة متطلبات تكوين الافراد وتنمية قدراتهم الفكرية وتوظيفها في خدمة المجتمع الإنساني في إطار التحصص الاجتماعي للعمل ذلك التخصص الذي يعتبر سمة اساسية من سمات المجتمعات الحديثة)

وفي هذا الاطار فإن علاقة التعليم بالتنمية هي علاقة تنشيط في الابعاد الزمانية والمكانية ووصل فكري بين ابعاد الزمن المتتالية لماضى -الحاضر - المستقبل وهي كذلك علاقة للتعايش مع الواقع لتقديم الخبرات والمهارات والتصورات التي يتحرك بها المجتمع وهو ماجعل التعليم يحتل مركزا كبيرا.

في برنامج الانماء الاقتصادي لمعظم دول العالم واعتباره بالنسبة لمعظم رجال التنمية استثمارا خلافا لمن يراه خدمة اجتماعية ومصدرا للاستهلاك ومجتمعنا الذي مازالت الامية تسيطر علي عدد كبيرمن افراده يواجه جملة من العوائق التنموية بسبب هذا التخلف المعرفي ففضلا عن وجود اعداد كبيرة من المواطنين غير القادرين علي الاداء الانتاجي بالادوات التكنولوجية العصرية توجد اجواء ملائمة لشيوع العادات والتقاليد والقيم التي لم تعد تلائم الاوضاع الحضارية اليوم كشيوع الاتكالية والتأفف من بعض المهن والاعمال التي كانت مرتبطة بمراكز اجتماعية تقليدية والقبول في بعض الاحيان بوضعيات الجهل والامية فعدد من البنات يتمنين ان يصبح في اوضاع امهاتهن (ربات بيوت اميات) وهو ما يعبر عنه بعض التربويين بالعدوي الثقافي كما ان الاستفادة من وسائل الاتصال والاحتكاك الحضاري تبقي بالنسة لغير المتمدرسين عديمة الفائدة ثم ان ادراك الامكانيات الحقيقية للفرد وحقوقه والتزاماته داخل المجتمع ومشاركته في البناء واداء واجبه في حماية وسيادة الحوزة الاقليمية لوطنه تبقي كذلك مشروطة بمستوي حظه من التمدرس، كلها انعكاسات تتطلب من المتطلع الي المستقبل ان يعيها ويرسم الآفاق التي قد تمكنه من انجازها وتحقيق الاهداف الكبري التي يطمح اليها المتجمع

ثالثا: التوجهات المستقبلية لتعليم المرأة

تعتمد موريتانيا في اطار طموحاتها التنموية الي تعميم التعليم ومحو الامية في حدود سنة 2000 ولهذا الغرض تحاول تعميم التعليم من خلال تشجيع تمدرس البنات وتوعية الامهات والمجتمع علي اهمية هذا المشروع وفتح آفاق المشاركة في الحياة العامة للمرأة ودفعها الي مزاولة مختلف الاعمال وتجاوز العوائق الاجتماعية الآنفة الذكر وذلك بالتأثير علي المسلكيات السائدة والتي الاتخدم النمو الاقتصادي والثقافي ولعل الحملات الاعلامية التي تتقدم بها مؤسسات المجتمع المدني من مختلف مواقعها اداه تساعد علي التغيير في اتجاهات المستقبل وستبقي تحقيق مسنويات مرتفعة علي طريق الاهداف رهين الارادات الانمائية الجادة وذلك لمواجهة النقص الذي مايزال ملاحظا (إذا مايزال التحاق البنات البالغات سن المتدرس خلال 95-96 في حدود 76٪ في حين يقدرتسربهن ب 46٪ في المرحلة الاساسية ويبقي عدم التوازن في توزيع التمدرس بين الجنسين قائما ومختلف من ولاية لاخري.

المصادر

-مصلحة التخطيط والتعاون بوزارة التهذيب الوطني

- مصلحة ترفية الاسرة بكتابة شؤون المرأة

- ادارة محو الامية بكتابة الدولة لمحاربة الامية

- الامية في الوطن العربي مشكلات وحلول.

لمحيي الدين صابر.

× ص : ٤٦. من نفس الكتاب

المغرب والاندلس .. الاتصال والانفصال

د. ازيد بيه ولد محمد محمود . جامعة انواكشوط

ليس بالامر اليسيرعلى المرء هنا في هذه العجالة أن يتعرض لأوجه الاتصال والانفصال والوحدة والتكامل بين إقليمين كبيرين امتدت العلاقة بينهما قرونا من الزمن مثل المغرب والأندلس.

لذلك فإن مايحكم هذه المساهمة من شروط (محدودية الصفحات اللازمة علي البحث ان يلتزم بها والوقت الذي يجب أن تمر فيه) يقضي الالماع الي السمات العامة للاتصال والانفصال، ومن ثم الوقوف بشيئ من الاسهاب على مرحلتين هامتين من الصلة بين الاقليمين وهما مرحلة المرابطين والموحدين، وهما مرحلتان اتحد فيهما الإقليمان على الأقل من الناحية السياسية، وفي مرحلة من مراحل عمر الدولتين امتزج المغرب (1) بالأندلس عهودا متطاولة تناهز ثمانية قرون أو تزيد.

وكان للعدوتين المغربية والأندلسية خلال هذه العهود اتصال وامتزاج شد الأواصر، ونسج لحمة يعز نظير لها في التاريخ الإنساني.

وقد بدأت هذه الصلات علي حد رغم مؤرخي العصور الوسطى بغزو القبائل البربرية الجرمانية للقسم الغربي من الأمبراطورية الرومانية.

وكان مقدرا للمغرب، وهو جزء من غرب هذه الأمبراطورية، أن يسقط بيد الواندال الذين عبروا المضيق إليهم من إسبانيا سنة 429م(2)، وقد مكث المغرب تحت سيطرتهم قرابة قرن إلى أن استطاع البيزنطيون إستعادته سنة 533م في عهد الأمبراطور جوستنيان وأستمر حكمهم له إلى أن أخرجهم العرب المسلمون منه إبان الفتوحات الإسلامية(3) لذلك، فقد أطلق المغاربة على هذه البلاد إسم الأندلس نسبة للأقوام الذين قدموا منها، وعندما قدم العرب الفاتحون إلى المغرب وأرادوا فتحها أخذوا عن المغاربة هذا الإسم الذي إشتهرت به.

غير أن الإلتقاء بين العدوتين تنامى واتسع إبتداءا من الفتح الإسلامي سنة 92هـ 711 م إذ إختلط آلاف العسكريين الفاتحين (جيش طارق بن زياد ومدد موسى بن نصير من القيسية واليمانية) مع أهل الأندلس " وتزاوجت في كيان مشترك تمخض عبر القرون عما أسماه الغربيون بالغرب الإسلامي، تبلورت فيه الوان متكاملة، شملت أدق مجالي الحياة حتى ماعرف منها بالفن الإسلامي المورسكي، وقد إنصهرت مؤثرات أموية عربية عريقة خاصة خلال القرن الرابع الهجري في مؤاثرات صنهاجية مصمودية تحت تأثير المرابطين والموحدين، ومن هنا إنطبع تراث الأندلس بعطاءات مغربية إفريقية عربية إنبثقت عنها حضارة فذة، خلقت عالما ثالثا بين الشرق والغرب كاد يرتكز بين المحيط والمتوسط في المغرب وصحرائه كصلة بين ثلاث قارات، وثلاث حضارات(4).

ولقد ظلت العلاقة بين العدوتين خلال القرون الثمانية تتراوح بين الشعبية للمغرب والإنفصال عنه، ولكن الصلة الوثيقة كانت في عهد الدولتين المرابطة والموحدية.

وقد شهدت القرون الثلاثة التي سبقت عهد الدولتين كلا العدوتين أحداثا سياسية وعلمية كان لها أثرها في توثيق الطلة بينهما.

فإذا كانت العدوة الأندلسية قد شهدت إنتفاضة عارمة للمغاربة، وهي بمثابة امتداد لثوراتهم في المغرب، إثر وقعة طنجة سنة 122 هـ 740م وعقبتها ثورات أخرى خلال العشر سنين الموالية، فإن عهد عبد الرحمن الداخل سنة 136هـ / 753م قد شهد أوبة الكثير من المغاربة إلى العدوة الجنوبية، ولكن عبد الرحمن مالبث ان استدعى فلولا من المغاربة من أجل

تكثيف وتقوية جيشه. وحين إستولى المنصور بن أبي عامر علي الحجابة وأستوثق له الأمر وبنى مدينة الزاهرة، وحين أراد تقوية الجيش إستدعى مجموعات من المغاربة، وكانت بينها عداوات في أرضها) مما كثف أعداد المغاربة القرطبيين في الزندلس وعزز حكم المنصور العامري(5).

وهؤلاء هم موضوع كتاب ابن حزم في الأنساب(6) مدرجا بينهم الصنهاجيين والمصامدة والكاتبيين.

أما في المضمار الحضاري، فإن الأندلس بعد الفتح الإسلامي سنة 92هـ 711م وعهد الولاة فيه(97هـ 138م / 716هـ 756م) والدولة الأموية فيه (138هـ716م / 422هـ 1031م) بما له من سعة الإتصالات مع عالم البحر الزبيض المتوسط والمشرق العربي الإسلامي الذي كان في عنفوان إزدهاره الحضاري، عموما وتألقه الفكري، خاصة قد فاءت علي الأندلس بالخير العميم، وأنعكست على أوضاعه عامة بشكل إيجابي، فقد إنتقلت إليه زراعات المشرق، الأصلية أو المجلوبة من الشرق الأقصى إذ نقل ابن حيان الكيفية التي إنتقلت بها متمثلة بالرمان السفري.

،مع إنتقال السلع والمزروعات كما هو معروف، كانت تنتقل الزفكار وقد إنتقل للأندلسيين علم الفلك على مذهب بطليموس، الذي يرى أن الأرض سرة الكون، وقد حمل بعض أهل حران، التي عرفت بإزدهارها علوم الطب فيها، حمل بعض أهلها إذن الطب وصناعة الأدوية الي الأندلس.

وليس بالمستغرب تبعا لذلك أن تظهر بالأندلس شخصيات فكرية وعلمية على قدر كبير من الأهمية أمثال عباس بن فرناس الذي برع في الفلك وحاول الطيران، وصنع الزجاج من الحجارة(7). وأنتقل إلى الأندلس المطرب الشهير زرياب، وقد صنع في الأندلس عودا جديدا أضاف فيه وترا خامسا، ونقل للأندلسيين عادات المُشرق الإجتماعية المتأنقة.

وقد سمحت حالة الرفاه التي عاشها الأندلسيون بالتأنق والترف في المناحي المعمارية فظهر في المساجد وبناء القصور في قرطبة والمنى، وهي إرهاصات القصور الريفية التي لم تعرفها أوروبا إلا في فلورنسا في النصف الأول من القرن 14م،وكذلك حالهم مع مدن الثغور التي شيدوها مثل (مجريط) مدريد الحالية.

والحق أن المغرب، قبل سيطرة المرابطين على الأندلس، عرف تسرب عطاءات الأندلس الحضارية وتجسد ذلك خاصة بعد النكبة التي تعرض لها عوام ربض قرطبة على يد الحكم الربضي (180هـ/ 206هـ- 796م / 822 م) وهجرة أربعمائة عائلة إلى المغرب الأقصى.

ويعتبر عهد المرابطين مرحلة فاصلة في العلاقات بين العدوتين، فلقد كان لدورهم من قبل، فأمتد نفوذهم من بلاد شنقيط جنوبا إلى أواسط وشمال شبه الجزيرة الأيبيرية شمالا، وعرفت مناطق الإئتلاف هذه خلافات وصراعات كانت محتدمة (صنهاجة في بلاد شنقيط، زناتة في المغرب، دول الطوائف في الأندلس...).

وكان المغرب قبل سيطرة المرابطين مجال نفوذ للأندلسيين التي كان يحكمها الأمويون، منذ القرن الرابع، وابتداء من هذه الفترة أصبح الأندلس تابعا للمغرب وذلك بعد تدخل يوسف بن تاشفين وقد دشن يوسف بذلك تقليدا لكل الدول التي تقوم في المغرب... التي تتشوف إلى حماية الإسلام في الأندلس.

وقد بلغ التواصل بين المغرب والأندلس مداه في هذه الفترة وكان الزندلس متفوقا في هذا المضمار وخاصة في الجانب الفني كالعمارة مثلا، علي إعتبار أن المرابطين أهل بداوة، ولم يكن لهم تقليد راسخ في هذا المضمار.

والحق أن الفن المعماري الزندلسي شدهم وخلب ألبابهم، فأستجلبوا معهم البناة والمهرة، وشيدوا المساجد والأسوار والقصور علي الطراز الأندلسي.

وإذا لم يبق المسجد الذي بناه يوسف بن تاشفين في مراكش، والمصلي في فاس، فإنما بقي من زيارات يوسف بن تاشفين لمسجد القرويين بفاس، ومسجد المرابطين في تلمسان يمكن أن يعطي فكرة عن تأثير الفن المعماري الأندلسي على المغرب.

ولربما كان التأثير في المضمار العسكري بين المغرب والأندلس من نصيب المرابطين المغاربة، إذ يذكر البكر الأساليب المتفوقة للمرابطين في هذا المضمار التي منتها "ولهم في قتالهم شدة

وجلد ليس لغيرهم، وهم يختارون الموت على الإنهزام ولايحفظ لهم فرار من زحف(...) وأكثر قتالهم رجالة صفوف بأيدي الصف الأول القنا الطوال للمداعسة والطعان، ومايليه من الصفوف بأيديهم المزارذق، يحمل الرجل الواحد منها عدة يزرقها فلا يكاد يخطئ"(8).

إن من الملاحظات الأساسية التي يمكن سردها في مضمار الإتصال والتجاذب بين المغرب والأندلس أنه في عهد المرابطين تم التبدل في مراكز التألق الفكري، فقد خبأ مركز الأندلس، بحكم حملات الإسترداد، خبأ القيروان بحكم خرابها وتأسس مركز جديد على حواف الصحراء وهو مراكش عاصمة المرابطين، وقد إزدهرت العلوم في عهدهم، وخاصة في عهد علي بن يوسف(500 ـ 537 هـ ـ 1106 ـ 1142م) فقد تألق في عهده علم من أعلام البيت الطبي في الأندلس وهو عبد الملك بن زهر، وكتب كتابين طبيين طارت شهرتهما في تلك الأصقاع.

التعريف لمن عجز عن التأليف.

والحق أن أسرة الزهراوي أسرة طبية توارثت هذا العلم خلال ثلاثة قرون وأبدعت فيه في الأندلس.

ثم نرى شخصية فكرية أخرى تتألق في سماء المرابطين وهي شخصية ابن باجه المتوفى 533 هـ ـ 1138م كان نشاطه مركزا علي الفلسفة والرياضيات والمسيقى، وقد لاقى الترحيب في عهد المرابطين وقد كان رنتاجه في الحكمة ثرا فقد قيل أن انتاجه فيها ناهز 25 كتابا، وقد علق علي جملة من الفلاسفة أمثال أرسطو وأقليدس وجالينوس والفارابي.

ولكن الباقي من هذه الكتب لايتعدى (الكلام في إتصال العقل بالإنسان، ورسالة الوداع، وتدبير المتوحد).

وكان رائدا ومؤسسا للإتجاه الفلسفي الذي سار عليه أهل النظر في هذا المجال بعده في الأندلس، ولم يبق تأثيره حبيس حدود الأندلس، بل تجاوزها ليؤثر في فلاسفة العصور الوسطى في أوروبا(9).

ولقد تركت دولة الموحدين آثار كذلك في هذا الإتجاه، فعلى الرغم من أنها سارت في بعض الأحايين في الاتجاه الذي سلكه أسلافها المرابطين، مع تغير في الأساليب والدوافع، فإن الموحدين كانوا مجددين في مجالات أخرى.

ففي عهد الموحدين نرى المغرب يتسم بالطابع العربي، يتجلى ذلك في الإختلاط والتمازج بين السكان المحليين والقبائل العربية، وساروا بهذه العملية إلى نهايتها بنقل بعض القباءل العربية حتى الأطلسي، ومن ثم عبروا بهم إلى العدوة الشمالية(10).

ولقد إزدهرت في عهد الموحدين الفلسفة، ولمعت في سمائهم شخصيات خرج تأثيرها عن حدود المغرب والأندلس كذلك من أمثال ابن طفيل وابن رشد(11).

وفي عهد الموحدين كذلك تمادى طغيان تأثير الفن المعماري الأندلسي في المغرب وق احتل الموحدون مكانة سامقة في هذا الفن"لاسيما في عهد يوسف الذي عاش في إشبيلية، حيث زينها بأروع البنايات والموسسات العمومية، ثم جاء ولده يعقوب المنصور، فكان أبدع بناء في تاريخ المغرب الفني، وقد تجلت هذه البدائع في إشبيلية والرباط ومراكش ومنارتها (خير الدا وحسان والكتبية).

وأصبحت مراكش ببنايتها وقصورها وحدائقها أشبه ببغداد في الشرق كما شبهت مدينة فاس دمشق في روائها الفني وطبيعتها الخلابة، ويمكن أن تعتبر مدينة فاس أول مركز عربي تفتق في البلاد المغربية وأصبح بعد ذلك (...) مظهر إعجاز في ميدان التكيف بالطابع الشرقي" (12).

ولكن الموحدين استطاعوا ببراعة أن يزاوجوا بين تعبير العمران عن قوتهم وبين فلسفتهم الداعية للتقشف، فأتت مبانيهم ضخمة ولكنها بسيطة في زخارفها بشكل يجعلها موائمة لطبيعة دعوتهم.

وبالجملة فإن الحضارة الإسلامية أينعت في الأندلس وأستقطبت الجامعات الإسلامية فيها، وكذا دور الكتب، طلبة المعرفة في أوروبا، فنهلوا من معارفها الغزيرة، وأقتبسوا من عطائها الثر، وتعرفوا على أوجه الحياة المختلفة للعرب فيها، بما في ذلك المعتقد الديني، وقد آبو إلى بلادهم ومعهم كل هذا الزاد ومن أشهر هؤلاء الرهب جربير (GERBERT) الذي اصبح فيها

بعد البابا سلفستير الثاني (999 ـ 1003)م وقد كان له أثره الديني في أوروبا، إذ يعتبر من رواد الإصلاح الديني وهو الذي ينسب إليه نقل الزرقام العربية إلى أوروبا (13).

وإلى جانب ذلك كانت هنالك حركة ترجمة واسعة النطاق من العربية إلى اللاتينية سواء كانت هذه الكتب عربية أصيلة، أم مترجمة عن العربية إلى اليونانية ككتب أرسطو (384 ـ 322) ق.م. وإقليدس (القرن الرابع قبل الميلاد) وبطليموس وغيرهم.

تداول اعلام الغرب وفلاسفته أسماء فلاسفة العرب وعلمائهم أمثال ابن سينا (370 ـ 428 هـ ـ 980 ـ 1037 م) وابن رشد المولود سنة 530 هـ 1126 م وغيرهم.

وكانت مدينة طليطلة هي مركز الترجمة في القرن الثاني عشر ميلادي حيث أنشئت مدرسة خاصة بها في هذه المدينة.

هوامش

1 – المغرب اسم إضافي يدل على مكان ما بالاضافة الي جهة المشرق، ومن هذا المنطلق تظهر صعوبة تحديده من الناحية الجغرافية، وقد اكتسى اللفظ معنى جغرافيا وسياسيا خاصا خلال المرحلة الوسيطة من التاريخ الإسلامي، والمصادر مختلفة في التعريف، ولقد رد ابن خلدون ذلك الاختلاف إلى عرفين مختلفين هما عرف أهل الجغرافية والعرف الجاري في زمن ما.

ويمكن تبيان ثلاثة أسس اعتمد عليها الكتاب في تعريف المغرب:

1 – منهم من اعتمد مظاهر السطح اذ ذهب ابن حوقل الي ان النيل هو الفاصل بين المشرق والغرب إنما كان بحر القلزم (البحر الأحمر).

2 – منهم من اعتبر العامل البشري، فرأي ان المغرب ماكان قديما ديار البربر ومواطنهم، وفي هذه الحالة فإن المغرب يمتد من طرابلس إلى المحيط الأطلسي وهو بذلك يخرج الزندلس منه.

3 – وأخيرا الاعتبارات السياسية... فالإصطخري الذي كتب في وقت تبلور فيه استقلال الأندلس عن الخلافة العباسية، وأصبح الشمال الإفريقي موطن نزاع بين أمويي الأندلس وفاطمي إفريقية، نجده يقسم المغرب إلى مغربين إفريقي وأندلسي، ولما سيطر المرابطون من تلمسان إلى المحيط ومن الصحراء إلى جبال الشارات الأندلسية ظهر تعريف للمغرب يقتصر على أرض الدولة المرابطية.

ونحن نقصد بالمغرب الآن مايعرف إصطلاحا بالمغرب الكبير الذي يضم المغارب الثلاث وبرقة وبلاد شنقيط، أو المغرب العربي في عرفنا الراهن.

أنظر: أبو القاسم بن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، 1992، ص : 64.

– ابن خلدون، العبر، ستة مجلدات، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، مجلد 6.

2 – أحمد بدر، تاريخ المغرب والأندلس، المطبعة الجديدة، دمشق، 1401 هـ / 1981 م، ص : 15.

3 – من أجل معلومات أكثر من الفتوحات أنظر عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1964، ص: 33.

عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، مجلد 6، ص: 214.

4 – عبد العزيز بن عبد الله، الأندلس والمغرب، وحدة وتكامل، مجلة المناهل عدد 31 السنة الحادية عشرة، ربيع الثاني 1405هـ دسمبر 1984م، ص : 74.

5 – احمد بدر، مرجع سابق، ص : 134.

6 – عبد العزيز بن عبد الله، مرجع سابق ، ص: 76.

7 – إحمد بدر، مرجع سابق ، ص : 109.

9 – المغرب والأندلس، مرجع سابق، ص: 219.

10 ـ المراكشي، المعجب، ص : 224.

11 ـ ابن رشد : ولد بقرطبة سنة 530هـ/ 1126 م وكان جده قاضي الجماعة فيها، درس الفقه والطب وانتقل الي مراكش حيث قربه خليفة الموحدين أبو يعقوب يوسف إليه، وولى القضاء بإشبيلية وقرطبة، درس أرسطوا وعلق على عدد من مؤلفاته، وأتهمه بعض الفقهاء بالمروق عن الدين، فأحرقت مؤلفاته في الفلسفة، له عدة مؤلفات منها تهافة التهافت، وهو رد على كتاب الغزالي تهافت الفلاسفة، وبعض الشروح على كتب أرسطو، وقد ترجمت كتبه إلى العبرية واللاتينية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وكذا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وكان لها أثرها في أوروبا حتى منعها رجال الدين في القرن الثالث عشر الميلادي، وله كتاب في الطب يسمى الكليات، وقد ترجم، وكان له شأنه في أوروبا.

أنظر: خير الدين الزكلي، الأعلام ج 6 ص : 212. ليلى الصباغ، معالم تاريخ أوروبا في العصر الحديث، المطبعة الجديدة، دمشق، 1402هـ 1982م، ص : 121.

12 – عبد العزيز بن عبد الله، المقال السابق، ص: 136.

13 ـ تاريخ اوروبا الحديث، مرجع سابق ، ص: 120

***

عروة الزمان الباهي

للروائي الكبير عبد الرحمن منيف

الاستاذ محمد ولد نتا

صدر هذه السنة عن يسان للنشر والتوزيع بيروت والمركز الثقافي العربي بالدار البيضاء كتاب «عروة الزمان الباهي » للروائي الكبير عبد الرحمن منيف في 196 صفحة من الحجم المتوسط 14X22 سم حول حياة الصحفي الكبير الباهي محمد حرمة المتوفي في 04 حزيران /يونيو 1996

ا- لمحة موجزة

الكتاب كما يقول منيف- «فرضه الموت، واملاه الغياب فلوان الباهي محمد بقي حيا، او لم ينته بتلك الطريقة المفاجئة السريعة لما فكرت لخطة أن اكتب عنه» فقد كان الاكثر اهمية بالنسبة لي رصد حياته العارمة ومتابعتها وانتظار محطته الثانية خاصة وانه يعد بالكثير، وكان يهيء نفسه لرحلته الكبري الجديدة رحلة الكتابة الحرة الكتابة التي يحبها: المذكرات السياسية والرواية » هذا التماس بالباهي والرصد لحياته العارمة والتشوق الي محطته القادمة هذه العلاقة الانسانية الحميمة التي تحول بين الروائي الكبير وبين الكتابة عن الباهي حال الحضورهي نفسها التي تحدو به الي الكتابة عن الباهي حال الغياب ومع ذلك كان لابد من مسوغات لهذه الكتابة في زمن غدا فيه الوفاء لصديق «مات " تخلفا" » لايليق بكاتب كبير: " فالباهي ممثل للجيل الذى ولد بين الحرمين وانطوى عليه ذلك الجيل من احلام كبيرة وخيبات اكبر وكان ممثلا لمرحلة تاريخية بالغة الاهمية والتأثير لما حملته من امكانيات واحتمالات وماوعدت به من نتائج لوانه تم التعامل معها بعقلانية وتخطيط .. وتواضع ايضا" (2) «ثم ان الباهي لوعاش كان يستطيع ان يقدم «شهادة» نفثة صدر قراءة للمرحلة من نمط معين خلاصة التجارب التي مربها اوعاشها » يغني بها حياة الاخرين حتى لا تدفع الاجيال اللاحقة ثمن تجارب دفعت اثمانها من قبل (3) في الكتاب الذي يرسم "الملامح العامة لمسيرة هذا الانسان» يتوقف الكاتب عند عدد من المحطات:

-**ولادة الباهي** في « منطقة يحدها غربا المحيط الاطلسي، وجنوبا نهر السينغال وعند منهل من مناهل المياه، غير بعيد من النباغية، وكان ذلك عام 1930 »(4) ويصادف مولده متوفي العلامة اباه / محمد فال بن باب فيسمي باسمه تفاؤلا وتيمنا ويعيش حياة البداوة والتنقل« وفي المحظرة ، وهي الجامعة الشعبية التي تستقبل التلاميذ منذ وقت مبكر لتعليم القراءة والحساب اخذ يتلعم العلم ولاتمضى فترة وجيزة حتي يدرس الطفل الذى انتقل بعد وفاة والديه ،الي كفالة خاله الزعيم الوطني احمد ولد حرمه ولدبابا، « كتب الفقه المعتمدة والنحو ودواوين الشعر الجاهلي وفنونا اخري في اللغة والتاريخ وامور الدين ، إضافة إلى العلوم السائدة (6) وكان طبيعيا - بحكم التربية ان يجرد الباهي نفسه للكفاح الذي سيقوده الي جيش التحرير بجنوب المغرب المحطة الثانية في حياته محطة جيش التحرير بجنوب المغرب، وبعد ان انتهت « المعارك العسكرية المباشرة في المغرب قرر الباهي ان يستبدل سلاحا بآخر ، ان يعتمد القلم بدل البندقية وحين تقدم لمسابقة من اجل اختيار محررين لجريدة العلم كان في اوائل الناجحين وهكذا سيكون القلم سلاحا وحيدا منذ عام1956 وحتى اللحظة الاخيرة من العمر» (7) وخلال هذه المسابقة وقع خطأ في كتابة الاسم اباه فيكتب «باهي، ويروق الاسم الجديد للمحرر الناجح فيتخذه اسما له ويظل حاملا له حتي النهاية ولايعرف الا به » (8)

أما المحطة الثالثة في حياة الباهي ، فمحطة الثورة الجزائرية ، التي وحهته سنة 1961 الي بيروت التى لم يلبث ان اصبح بها «ضروريا وهاما لعدد متزايد من الصحفيين والسياسيين

فالثورة الجزائرية تتسع وتترسخ وتوشك ان تحقق انتصارها الكامل وكان لابد من وجود من يستطيع تقديم صورة مليئة بالتفاصيل والاسماء عما يدور هناك ولم يكن اقدر من الباهى علي القيام بهذه المهمة»(9) واحداث المغرب تتشابك وتتداخل، وكان يفترض وجود من يحلل ويفسر هذه الاحداث وما يمكن ان تؤدي اليه وليس اجدر من الباهي على تولي هذه المسؤولية.

ولئن كانت اقامة الباهى في بيروت قصيرة فانه « ترك اثرا لاينسى (10)وبعد بيروت نجد الباهى « احد الرسل الدين بعثوا الي فرنسا، الي باريس ليساهم مع آخرين في إدامة الثورة الجرائرية في تعزيز مواقفها في حشد قوى اضافية لها من اجل ان تنتصر(11) ومن هنا بدأ الباهي يقع « في هوى هذه المدينة (باريس) وسوف يعصف به ذاك الهوى الى درجة الادمان« 12) وحين تنتهي المحنة يلتحق الباهي بالجزائر العاضمة ويساهم بكل جهده من خلال «المجاهد» في بناء الجزائر الجديدة.. الجزائر المستقلة والمنتسبة لمحيطها العربي كان يقوم بعمل لم يتعود عليه فهو الآن في السلطة او عند تحومها ان لم يكن خلال القرار فمن خلال سلطة الثقافة والاعلام »(13) غير انه في ظل الشقاقات بين مناضلي الامس فضل ان ينسحب فعاد من جديد الي باريس(14)

ويرصد الكاتب في حديثه عن محطي الباهي الاخيرتين اسهام الباهي في مجال الكتابة الصحفيه والميزة الاساسية للكتابته التي لايتمتع بها «الا عدد محدود من صحفي المغرب » (15)108 ففي الكتابة الصجفية المغربية -كما يري عبد الرحمن منيف يخيم مناخا الترجمة واللغة التراثية (108) اما الكتابة الصحفية المشرقية فيطبعها في رأيه الترهل والانشاء والثرثرة والاديولوجيا والشعارات بحيث تضيع المعلومة او تختفي تحت هذا الركام الكبير(16) وقد استطاع الباهي ان يتفادي هذين اللونين من الكتابة باحترامه للتقاليد « الفرنسية من حيث الدقة في التعامل مع المعلومة واستبعاد الترهل في اللغة والثاني توظيف لغته المشرقة غير التراثية ولا المترجمة (17) ويقدم منيف في كتابه غير محطات الرحلة الباهية صفحات طويلة عن رؤية الباهي للكون وخواطره حول الاحياء ونباتات وحيوانات ايضا بشرا وكلبا واسماكا

كما يورد فصوللا اخر عن الًعلكة

الرواية الشعرية في حياة الباهي

فالباهي في باريس و"عروة" لخلافه من الشباب العربي، الذين نذروا انفسهم تظرفا للمبدء علي غرار الصعاليك في الجاهلية وصدرالاسلام (18) وربما كان ذلك سر أعجابه الذي لا حدود له بمالك بن الريب وبائيته المشهورة ويتصل بحديث الصعلية حديث الشعر فقد «جاء هذا البدوي من اقصى حدود الوطن من ضفاف نهر السنغال ف(...) كيف حفظ هذا المقدار الهائل من الشعر خاصة الجاهلي و ايضا كيف حفظ القرآن نصا ومعنى»(19) فمن يسمعه يتلو معلقة امري القيس يظن انه اخذها عنه مباشرة ومن يسمعه يردد معلقة طرفة بن العبد يعتقد ان طرفة فارقة للتوو اللحظة (20) والخلاصة ان « الباهي والشعر شيء عجيب (21) اما الرووايةة فقليلون هم الذين بعرفون ان رهان الباهي في هذه الحياة كتابة الرواية ومن الطريف ان الباهي كان بضيق بكثير من الروايات المكتوبة بالفرنسية من قبل كتاب عرب لانه « كان يريد شيئا آخر وبطريقه مختلفة ايضا إذا لايفترض ان يكون اسلوب القول الاوربي هو اسلوب القول الوحيد فالباهي المشبع بالتراث وطريقة القول العربية والمطلع علي الاساليب الحديثة في نفس الوقت كان يتوق للوصول الي قول خاص جديد وكثيرا ما اشار الي رواية اميريكا اللاتية وضرورة ان تكون الرواية العربية ملامحها المميزة(22)ورغم ذلك فان منيف لايدري ان كان الباهي قد كتب روايات لم ينشرها فيما عدا اوراق تركها عنده ببغداد سنة 1979 او رواية حدثه عن مواصلته العمل فيها، عنوانها ذاكرة الرمال(23)

وفي كتاب منيف إضافة الي ذلك لمحات شيقة من حياة الجيل الذي ولد بين الحربين وآماله والآمة علي حد السواء لقد كتب عبدالرحمن منيف في عروة الزمان الباهي» جزاءا من تلك الشهادة التي يلح على الباهي في كتابتها

2 ملاحظات سريعة

* يجد القارئ لكتاب عبدالرحمن منيف «عروة الزمان الباهي» جهدا محمودا في تقصى حياة الباهي وتصحيح بعض الاخطاء الشائعة في ترجمته كتحديده تاريخ الميلاد بسنة 1930 تاريخ وفاة العلامة محمد فال ولد باب (24) رغم ان ترجمة الباهي المنشورة في دليل اتحاد كتاب المغرب الذي يعتمد عادة على الاستمارات المكتونة من قبل الاعضاء انفسهم تحديد تاريخ بلاده سنه 1934 (25)

* يفيد الدليل المذكور ان رواية «ذاكرة الرمال» قد نشرت مسلسلة بجريدة الاتحاد الاشتراكي (26)

* إذا كان الكتاب قد توقف عند « اهم» محطات الباهي فقد بدأ (الكتاب) رحلته من ضفاف نهر السينغال ولم يتوقف عند المحطة الاولي (شنقيط، موريتانيا) ليتزود بالوقود على الاقل وليتجنب اشكالات من نحو كيف حفظ هذا المقدار الهائل من الشعر خاصة الجاهلي وايضا كيف حفظ القرآن نصا ومعنى(27) ولئلا ينسي ان الباهي ليس اول فتى يخرج من مضرب تلك القبيلة اوغيره من المضارب المجاورة حاملا في ذاكرته (ماخف حمله وغلاثمنه) ليكون شأنا في المشرق العربي فمن نفس المغرب خرج قبله بعقود صاحب الوسيط الخ...

* لا ادرى لماذا وجدت نفسى وقد انتهيت من قراءة «عروة الزمان الباهي اعود الي الصفحات الاولي» لقد أثرت تجنب اسلوب الرواية -رغم اغرائه(28) أثر منيف ، حقا تجنب اسلوب الرواية ام الروائى الكبير لم يستطع ان يكتب رواية « عن الباهي» لانه ببساطة كان يريد ان يكتب ملحمة؟

لقد كان منيف يريد ان يكتب ملحمة الباهي الذي كان رهانه في هذه الحياة كتابة الرواية (29) تماما ، كبعض شخصيات منيف بل بالتحديد كبطل «شرق المتوسط» و«الرواية اي رواية يمكن ان اكتب لقد اخطأت مرة لقد سقطت مرة (30) ،واشترى كمية من الاوراق وقلما جديدا « وقال انه سيبدأ الكتابة حالما ينتهي من قراءة الرواية » (31)

فما الفرق بين هذا وذاك وغيرهما من سكان « هذه الارض الغراء الممتدة الي ما لانهاية من شواطى المتوسط حتى الصحراء البعيدة".

الهوامش

1عبدالرحمن منيف عروة الرمان الباهي، بيسان للنشر والتوزيع والمركز الثقافي العربي بالدار البيضاء 1997 ص 7

2-عروة الرمان ص 8

3- نفس المصدر ص 8

4- نفس المصدر ص 19

5- نفس المصدرد ص 19

6- نفسالمصدر ص 20

7-نفس المصدر ص 84

8- نفس المصدر ص 19

9- نفس المصدر ص 44

10- نفس المصدرص 44

11- نفس المصدرص 91

12- نفس المصدر ص 92

13- نفس المصدر ص 98

14- نفس المصدرص 103

15- نفس المصدر ص 108

16- نفس المصدرص 109

17 نفس المصدر ص 109

18- نفس المصدر ص 144

19 نفس المصدر ص 29

20- نفس المصدر ص 175

21- نفس المصدرص138

23- نفس المصدرص 139

24- انظر مثلا تحقيق كتاب التكملة المؤسسة الوطنية للتحقيق والتحقيق والدراسات بيت الحكمة تونس 1986 ص

25- انظر دليل الكتاب المغاربة انجزة حسن الوزانى مطبعة المعارف الجديدة الرباط 1993ص 38

26- دليل الكتاب المغاربة ص 38

27- عروة الرمان الباهى ص 29

28- نفس المصدر ص 10

29- نفس المصدر ص 135

30- عبد الرحمن منيف شرق المتوسط المركز العربي للدراسات النشر بيروت 1981ص165

31- شرف المتوسط ص 171

منزلة البحث اللغوي في تصنيف العلوم عند العرب

د. محمد ولد عبد الحي - جامعة انواكشوط

يمكن تبويب العلوم عند العرب – حسب مصادرها – إلي ثلاثة أبواب هي:

– العلوم التي كانت عند العرب قبل الاسلام في فترة الثقافة الشفهية وهي: الخطابة والشعر والاخبار.

– العلوم التي انبثقت عن النص القرآني، وتحولت معها الثقافة الشفهية إلي ثقافة مكتوبة مقروءة.

– العلوم التي طرأت بانفتاح الحضارة العربية الاسلامية على حضارات إنسانية أخرى: فارسية، هندية، وسريانية – يونانية.. وهي العلوم التي تمثلها شجرة الفلسفة بفروعها: المنطق – التعليم – التطبيقات – الالهيات – العلم المدني: أي المجتمع، والطبيعة، ومابعد الطبيعة، وقوانين الإدراك العقلي المرتبط باللغة: المنطق وبالرمز المجرد: التعليم.

إن تصنيف مادة يقتضي أنها أصبحت موجودة وجودا خاصا، بوصفها مادة واحدة فلا معنى لتصنيف مواد مختلفة، مالم يكن هناك مايوحدها، ومهما كانت العلوم قد وردت بصفة الجمع فإن ذلك لاينفي أن صفة العلمية توحد بينها، والعلم صفة مرتبطة بالادراك الإنساني، تحدد العلاقة بين هذا الادراك والشيئ المدرك، سواء أكان هذا الشيئ ملموسا أم مجردا، فللإدراك طبيعة؛ ومفهوم العلم يتناسب مع هذه الطبيعة. فقد لايعد وهذا الإدراك انعكاسا سطحيا للشيئ، وقد يحاوره فيجرد منه مفاهيم، ويدخل مفاهيم، ويدخله إلى قوالب نظامه القياسي، ويرتفع به من مستوى الخصوص إلي الكلي. وهذا المستوى الأخير هو الذي نقصد بالعلم هنا. فالعلم في هذا المستوى هو ثمرة تفاعل الفكر الإنساني مع الموضوعات، وتحليل مسائلها، واستنباط مبادئها.. والتصنيف هو جمع النظائر على مستوى يشمل الموضوعات، والمسائل والمبادئ قصد تسهيل التعامل معها: يجمعها الفكر في خاناته لتسهل عليه إعادة تركيبها بعد تحليلها.

وعملية الادراك العقلي هذه إنما تتم بتجريد المفاهيم والدلالات واختزانها في الذهن، وهذه مستحيلة بدون الدال اللغوي، ولولا ذلك لكانت الحيوانات العجم قادرة على تجريد المفاهيم مادامت مدركة، فاللغة، إذن، أداة كل علم، ومستخدم الاداة إذا لم يكن يعرف متى تكون سليمة، فإن عمله بها باطل، ومن هما كان العلم – أي علم –يستوجب البحث في اللغة ذاتها، ولكن كون اللغة أداة الفهم والافهام يجعل قوانينها الداخلية هي ذاتها، قوانين العقل الفاهم أيضا. ففهم هذه القوانين يقتضيه فهم النظام الفكري المولد لهذه العلوم. إذ العلوم هي ثمرة حوار هذا الفكر مع الأشياء المجسمة أو المجردة كما تقدم.

إذن فإن منزلة البحث اللغوي في مدونة العلوم عند العرب مركزية، فالابواب الثلاثة التي إليها بوبنا العلوم عند العرب أولها: لغوي محض: الخطابة والشعر والأخبار وثانيها : العلوم الشرعية المنبثقة من دراسة النص القرآني، وتفسيره، وتأويله، انطلاقا من ظاهر نصه وباطنه، من حقيقته ومجازه، من دلالته اللفظية، ودلالته السياقية، وهو بحث لغوي بحت.. أما ثالثها فهو: العلوم العقلية الخالصة التي تعتمد منطق العقل، ومنطق العقل يعني بحث أوجه الدلالة، ولايمكن الوصول إلي الدلالة إلا بواسطة الدال والمدلول: اللغة.

فكيف يتجلى الوعي بمكانة اللغة، هذه في مدونات تصنيف العلوم عند العرب؟ لئن كان جابر بن حيان (ت 168هـ 785م) قام بتصنيف للعلوم، وتبعه فيه أبو يعقوب الكندي (ت 250هـ / 865م) فإن تصنيفها كان أقرب إلى تصنيف أرسطو (ت

322 ق.م) : نظري، عملي، فلم يستقصيا العلوم، بحيث يعسر أن نلتمس عندهما مكانة المبحث اللغوي، فإننا نعتبر أن أقدم تصنيف عند العرب جاد نعثر عليه، فيه نوع من الضبط، هو تصنيف أبي نصر الفارابي (ت 339هـ / 950 م)، وقد تلته تصنيفات كثيرة، يمكن أن نرتبها حسب الأهمية على النحو التالي:

1 - تصنيف تكويني:

أبرز ممثلية هم : الفارابي. إخوان الصفاء (ق 4هـ) عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ 1406)، محمد اعلى الهانوي (ت بعد 1157هـ / 1743).

2 - تصنيف غائي : أبرز ممثلية ابن حزم الظاهري (ت 456هـ 1964م) ، أبو حامد الغزالي(ت 505هـ / 1112م) .

3 - تصنيف معياري: أبرز ممثلية ابن النديم (ت 378هـ 989م)، محمد بن عبد الله الخوارزية الكاتب (ت 387هـ 997م).

هذه التصانيف الثلاثة نستعرضها كما يلي:

1 - التصنيف التكويني:

- صنف الفارابي العلوم في كتابه (إحصاء العلوم) إلي ثمانية أصناف أوبين أجزاء كل واحد منها في داخله فرتبها على النحو التالي :

1 - علوم اللسان

2 - المنطق

3 - التعاليم

4 - الطبيعيات

5 - الإلهيات

6 - العلم المدني

7 - الفقه

8 - الكلام

ولئن كانت منزلة "علم اللسان" هي الصدارة فإنه لابد أن نتساءل عن الأساس الذي بنى عليه هذا الترتيب. لقد حدثنا أبو نصر في مقدمة الكتاب أن من فوائد هذا الكتاب أنه يسهل على الطالب معرفة رتب العلوم، ليعرف بماذا يبتدئ في تعلمه. فهل هذا هو الترتيب الطبيعي لها، من حيث الأهمية؟ وإذا اعتبرنا أن علم اللسان هو البداية، إذ هو الأداة الأولى لأي علم، والبوابة الوحيدة لفهم وإدراك أي أمر، وأن المنطق هو قانون هذا الفهم، أو أن علم اللسان هو قانون اللفظ، والمنطق هو قانون المعني (كما يقول أبو سليمان المنطقي في المقابسة الثانية والعشرين من مقابسات التوحيدي)، وأن التعليم هي المستوى الرفيع من التجريد العقلي بحيث هي الخطوة الثالثة بعد المنطق. فبما نفسر كون الطبيعيات والإلهيات تقع قبل الإنسانيات؟ فإذا اعتبرنا أن الطبيعيات هي موضوع البحث العقلي الأول، باعتبار أن الانسان اكتشف تميزه عن بقية الحيوانات عندما بدأ يتحاور مع الطبيعة، فكيف نفسر تقديم مابعد الطبيعة مباشرة بعد الطبيعية، وقبل علوم المجتمع التي هي من عالم الطبيعة؟ وكيف نفسر فصل علوم المجتمع والفقه بين الإلهيات وعلم الكلام؟ إن النموذج التكويني النسقي الذي يقدمه أبو نصر في الباب الخامس من (كتاب الحروف) يدعم نظريا مكان الصدارة الذي أسند للبحث اللغوي في (كتاب الاحصاء)، فأول شيئ يتعلمه الانسان ليستعيض به عن الإشارة هو الحروف التي منها يكون كلمات، ثم بالتراكم تحدث صناعة الخطابة الاقناعية، ثم صناعة الشعر التخييلية، ثم بعد تراكمهما، وضغط الحاجة، يحدث نظام الكتابة، وبعده تبدا الحاجة لتدوين مفردات اللغة، ثم يستنبط نظام الكلام: التركيب، فتحدث صناعة النحو... ثم بعد هذا يتوجه النظر إلى المحيط ، فينشأ مختلف العلوم الطبيعية اعتمادا على آلية القياس الخطيبي، واستخدام العقل درجة من الرقي تمكنه من اكتشاف نظام القياس البرهاني الدقيق، فتنشأ صناعة المنطق، كما كانت عليه الحال في عهد ارسطو - وبعد هذا تنشأ العلوم المللية، فيحدث علم الفقه، ثم علم الكلام، بوصف موضوعه أدلة مجردة موضوعها مابعد الطبيعة..

هذا الترتيب الذي صرح الفارابي بأنه الترتيب الزمني لنشأة العلوم عند الانسان، يختلف ايضا من بعض الاوجه عن ما رأينا

عنده في الاحصاء، فهو لئن برر الموقع الذي تحتله علوم اللسان في الصدارة، فإنه لايبرر جعل المنطق يقع مباشرة بعدها، إذ المنطق – حسب ماقال – لايظهر إلا عند نقطة نضج كافة العلوم غير المليّة، ويجعل كذلك تقديم التعاليم على الطبيعيات غير سليم، ويفصل بين العلم المدني والفقه، وموضوعهما واحد هو المجتمع وقد يشفع لذلك كون الأول ينتج من الاجتماع البشري، والثاني من علوم المِلّة: تعامل الفرد مع صاحب الشرع، ومع المجتمع من منظار الشرع، وهو مايربط الفقه بالكلام.. لكن لابد أن نتساءل: مامعنى عدم وجود الإلهيات قبل وجود الملة في نظرية تكوينية؟ هل معناه أن الانسان لايفكر فيما وراء الطبيعة إلا بعد أن يتم له اكتشاف نظام الطبيعة، ونظام المجتمع؟ ومادام وقد حدد ظهور المنطق في السيرورة البشرية بعهد أرسطو، فهل معناه أن الإلهيات لم تكن موجودة قبله عند سقراط وغيره من أسلافه الفلاسفة؟ على ان الاهم بالنسبة لنا في هذا المقام انما هو مكانة البحث اللغوي ونحن امام تصنيف بدت فيه مكانته جلية، فهو آلة كل صناعة بل هو آلة الصناعة.. فلامعني للصناعة بدونه والفارابي وان بدأ نموذجه في نشأة اللغة مستمدا من تطور اللغة العربية فانه ينبه في النص نفسه (الباب الخامس من كتاب الحروف) الى أنه إنما يعني امرا كليا حتى تبلغ العلوم الي ماكانت عليه في عهد ارسطوا وكذلك يفعل في التقسيم الداخلي لعلم اللسان (كتاب الاحصاء).. "الالفاظ الدالة في لسان كل امة ضربان.. الفاظ مفردة والفاظ مركبة"... واذا كان الامر بهذا المستوي من الوضوح في مشروع ابي نصر الفارابي التكوني فماهي حاله في تصنيف مجموعة من العلماء ذوي النزعة الكونية في المعرفة عاصروا الفارابي هم : اخوان الصفاء)!

– يصنف اخوان صفاء في (الرسائل) العلوم البشرية الي ثلاث مجموعات هي:

١ – العلوم الرياضية، الآداب الدنيوية التي ترمي الي ا ن توفر للإنسان سعادته في الدار العاجلة وهي كافة الحرف وأولها علوم اللغة وضمنها الحساب والتحرر والتنجيم والطلسمات والكيمياء والجبر...

٢ – العلوم الشرعية الوضعية التي ترمي الي أن توفر للإنسان النجاة في الآخرة.

٣ – العلوم الحقيقية التي تكفل للإنسان السعادة .. الطبيعيات. الرياضيات. الالهيات. السحر. التنجيم. الطلسمات. الكيمياء. (الرسالة الثامنة من الرياضية)

لقد امتاز هذا التقسيم عن سابقه بالاعتماد على الوظيفة: السعادة في الدنيا. السعادة في الآخرة، والسعادة المجردة.. وهو ماجر الي التداخل، بحيث أن بعض العلوم يظهر في هذه الخانة وفي تلك معا. ولئن امتاز المبحث اللغوي عند الفارابي بمركزية الدور فإنه هنا لايعدو ان يكون حرفة ككل الحرف، من نجارة وحدادة وغيرهما... وهو مستقل تماما عن العلوم الشرعية رغم التصاقه المتين بهذه المعارف العربية الاسلامية. فكأن نزوع اخوان الصفاء الي كونية المشروع المعرفي حدى بهم الي ان لايولوا وقائع ملموسة في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية أهمية، بوصفها استثناء لايمس القاعدة العامة. هذا مع أنهم عرفوا العلم في رسالة الحدود والرسوم بأنه صورة المعلوم في نفس العالم. وقالوا في رسالة مبادئ الموجودات أن كل معنى في فكر النفس بلا لفظ يعبر عنه فهو بمنزلة روح بلاجسد وإنهم يتفقون مع الفارابي في نشأة الحروف والالفاظ عند الانسان.. ولكنهم لم يولواهتماما لدور المبحث اللغوي ككل.. ولعل اهتماماتهم السياسة والعقدية تصرفهم عن ما انشغل به الفارابي الفيلسون المتمحض للفلسفة ولمجز البنية الفلسفية بالبنية الفكرية العربية ذات الطابع اللغوي النصي.

٢ - التصنيف الغائي:

كيف نظر اصحاب المنزع الغائي ممن تغلب عليهم سمة علماء الدين وان كانوا مع ذلك فلاسفة الي منزلة المبحث الانساني في شبكة المعارف عند الانسان؟

أ – من هؤلاء نأخذ مثالين: أولهما ابن حزم في رسالة تقسيم العلوم التي صنف فيها العلوم الي سبعة اصناف كبرى ثلاثة منها تختص بها كل أمة هي: اللغة والشرح والاخبار واربعة مشتركة بين سائر الامم هي: الطبيعيات التعاليم والفلسفة

والإلهيات.

– ويعود فيصنفها تصنيفات أخرى من حيث هي: شرعية، – أو غير شرعية، ليحصر الاخيرة في : السحر والموسيقى اللذين انعدما ثم الكيمياء التي لم تكن قط سوى وهم، أما بقية العلوم سبعة هي بمنزلة الآلة للفقه والتوحيد وهي:

– الخط

– القراءة

–النحوواللغة

–التعليم

– المنطق

– الطبيعيات

– التواريخ.

وللتعمق في علوم الآلة اكثر من الضروري للغاية "فضول" خصوصا في النحو إلالمن يتعيش به وطلب المال بالعلم تحريفا له عن غايته. أما الشعر فثلاثة اصناف

١ – مستحب هو شعر الحكمة كشعر حسان بن ثابت وابن رواحة وكعب بن زهير وصالح بن عبد القدوس.

٢ – مباح: وهو الرثاء والمدح بالحق والهجاء والتقرير.

٣ – محظور : وهو شعر الغزل والحرب.

إن موقع المبحث اللغوي هو الصدارة كما كان عند الفارابي.. وابن حزم فقيه ينظر بمنظار الغاية الدينية المتعلقة بالآخرة – لابالحياة والرؤية التكوينية الشمولية فللغاية محددة وكلة شيئ في سبيلها. ولكن بما أن فهم الشرع ومقاصده، وطلب علمه واجب، وطلب العلم لايكون إلا بسماع وقراءة وكتابة فإن وجه التوصل اليه الوحيد هو علوم اللسان اولا، وعلوم الآلة الاخرى ثانيا. ولكن لاينبغي أن تتحول الوسيلة الي غاية. وهذا ماجعل ابن حزم يندد بتقعر النحاة ومحاكاتهم التي تنطلق من فروض وهمية لتدور علي وجهها. هذا رأي ابن حجر فماهو رأي حجة الاسلام ابي حامد الغزالي؟

ب – يصنف الغزالي في (كتاب العلم) الذي افتتح به عمله الضخم (أحياء علوم الدين) العلوم التي بها ينتظم امر الدنيا الي اربعة أصول هي:

– الزراعة للمأكل

– الحياكة للملبس

– البناء للمسكن

– السياسة للاجتماع.

وللثلاثة الاولى حرف مهيئة وأخرى متممة. أما السياسة فهي اشرف العلوم وهي اربعة :

١ – سياسة الانبياء التي تشكل الظاهر والباطن أي الخاصة والعامة.

٢ – سياسة الخلفاء والملوك والسلاطين، وهي للعامة وفي الظاهرة فقط.

٣ – سياسة العلماء وهي للخاصة وفي الباطن فقط.

٤ – سياسة الوعاظ ، وهي للعامة وفي الباطن فقط.

وأشرفها سياسة الانبياء ثم العلماء. ومنه فعلم السياسة هو علم الظاهر والباطن، أي علم اصلاح الجوارح والقلوب. وهو خاص مضنون به علي غير أهله. وعام واجب . والوجب هو: (اعتقاد وفعل وترك) وهو غير شرعي ، وغير شرعي منه . أ – واحد مذموم هو:

– السحر

– الشعبذة

–الطلسمات

٢ – مباح – هو: – الشعر الذي لاسخف فيه

– التواريخ

– الاخبار

٣ – محمود، ترتبط فيه مصالح الدنيا هو:

– الطب

– الحساب

– أصول الصناعات، وهي فرض الكفاية، والتعمق في معرفتها فضلية.

ب – أما الشرعي فهو:

– علوم الانبياء المحمودة كلها إذا لم تصرف في غير وجهها

وهي :

ا ـ اصول هي:

ـ القرآن

– السنة

– الاجماع

– اثر الصحابة

ا ا– فروع هي مافهم من الاصول:

أ – فقه متعلق بمصالح الناس:

– عبادات

– معاملات

ب – فقه متعلف باحوال القلب المتعلقة بمصالح الآخرة..

– المنهجيات.

– المهلكات

ا ا ا– مقدمات: من نحو ولغة إذ هي آلة القرآن والسنة، وليست في الاصل من علوم الشريعة. وإنما عرض لها أن اصبحت منها بأن القرآن نزل بلغة العرب، وكل شريعة إنما تنزل بلغة، فيصبح علم تلك اللغة فرضا.

٤ – متممات وهي:

– علم القراءات

– علم الاصوات

–علم التفسير

– العلم بالرجال

– أصول الفقه.

وكل هذه العلوم دنيوية في اغلبها، ولكن الدين لايتم إلا بها (إذ الملك والدين توأمان) أما الفلسفة فليست علما برأسها، وانما هي اربعة فروع الرياضيات ، الطبيعيات، وماوافى الشرع منهما، فقد ذكر في قائمة فرض الكفاية وماخالفه (فهو جهل لاعلم) أما المنطق والالهيات فهما داخلان في علم الكلام.

هذه قائمة اصناف العلوم كما أوردها الغزالي (في كتاب العلم) (الاول من احياء علوم الدين) ويقول الغزالي في شأن مبحث اللغة خاصة: فأقتصر من شائع علم اللغة على ماتفهم من كلام العرب وتنطق به (...) وأدع التعمق فيه، واقتصر من النحو على مايتعلق بالكتاب والسنة ، فمامن علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء (المحضر نفسه) وعلي الرغم من أن الغزالي عندما يبدأ مخاطبة صاحبه المفترض يأمره بأن يبدأ بنشر علم احوال القلب، ثم الفروض، ثم الفروع، ثم علوم اللغة والنحو... فمن البين أن معرفة كل هذين تتوقف على معرفة الآداة الموصلة الينا. علي ان ابن حزم والغزالي فقيهان متفلسفان، اهتمامهما الاول هو العلوم الدينية ثم العقلية، في الدرجة الثانية، وقد عايشا فترة المدارس النحوية المتخصصة التي ابتعدت نوعاما، عن العلوم الدينية التي نشأ المبحث اللغوي في أحضانها، وتطورت في كنفه، وأصبحت حلقات النحو تشد اليها جمهورا كبيرا، وتشغله عن غيرها، فقد يكون ذلك مادفع ابن حزم ومن بعده تلميذه ابن مضاء (ت ٥٩٢هـ) – الي التشنيع على النحاة ومادفعهم الغزالي الي الالحاح على الاقتصار على الضروري. ولكن الأصولي لايمكنه إلا الابتعاد عن علوم اللسان لأنها مجال نشاطه وكيف للفكر أن يولد إلى مالانهاية – كما يقول الغزالي في كتاب التفكر – بدون اتقان اللغة.

كان مشغل فلاسفة المسلمين تكوينيا – أي كيف تنشأ العلوم عند الانسان وتتطور، وقد جاءت اللغة ومبحثها في البداية لأنها التي بها يحول الانسان الادراك إلى وعي. ثم كان مشغل الفقهاء الفلاسفة غائيا أي قائما على علوم الغاية التي هي أصول الدين وفروعها. وجاءت اللغة ومبحثها عندهم في الدرجة الثالثة بعد الاصول والفروع من حيث المنزلة لأنهما ليسا إلا وسيلة للغاية. ولكن كونهما وسيلة يقتضى أنهما سابقان على الغاية لأنهما الوسيلة اليها. فلئن تأخرا منزلة فإنهما متقدمان عمليا.

فكيف كانت نظرة المثقفين العرب والمسلمين الذين عاصروا فترة الازدهار الي منزلة المبحث اللغوي بغض النظر عن موقعه في نشأة العلوم أو وظيفته ضمنها؟

***

الوقاية من الأيدز والأمراض المنتقلة جنسيا

د محمد وائل خليفه

تشكل الأمراض التي تنتقل عن طريق الجنس أوسع مجموعات الأمراض السارية انتشارا في غالبية البلدان ولازالت مستويات حدوث هذه الأمراض مرتفعة بشكل غير معقول وخاصة بين الشباب وهي حوالي 250 مليون إصابة سنويا.

وقد تبين أن أكثر من عشرين عدوى مختلفة تنتقل عن طريق الجنس وقد بدأت بعض عوامل هذه العدوى وخصوصا الفيروسات تحل محل الأمراض الجرثومية التقليدية سواء من حيث الأهمية أو من حيث التواتر.

أولا: أسباب زيادة الأمراض التي تنتقل عن طريق الجنس:

1 – التغييرات التي حدثت في السلوك الجنسي والاجتماعي نتيجة التحضر.

2 – الاتصال الجماهيري وتيسر عدة شركاء في الجنس.

3 – سهولة السفر

4 – استعمال وسائل الحمل الحديثة كالحبوب واللوالب.

5 – زيادة الموارد المالية

6 – زيادة إدمان الكحول والمخدرات والتدخين.

7 – الحرية الشخصية في الغرب والانتشار بين الدول.

8 – اللواطيين.

9 – البغايا.

10 – التأخر في علاج الأمراض المنقولة جنسيا.

2 - السيلان:

– مرض ينشأ عن الاتصال الجنسي.

– سببه جرثومة النسريات.

– فترة الحضانة بين يومين وخمسة أيام.

تتميز الاعراض بدورين:

أ – دور السيلان: حيث تلتهب الاعضاء التناسلية الخارجية ويخرج من الاحليل والمهبل سائل اصفر ضارب الي الخضرة مع حرقة بولية وآلام حوضية وضخامة عقد لمفاوية ووذمة واحمرار في الاعضاء التناسلية.

ب – دور المضاعفات: وتختلف في الرجل عن المرأة حيث تتجلى في الرجل بالتهاب البروستات والتهاب اليربخ والخصية وفي المرأة بالتهاب غدد سكان وغدد ابروتولان والتهاب المثانة وقناتي فالوب.

اضافة الي مضاعفات مشتركة كالتهاب الملتحمة والتهاب المفاصل والتهاب الجلد ويسبب لدى المرأة الحامل ولادة قبل الأوان واصابة الوليد بالسيلان الذي قد يؤدي للعمى.

– يتم التشخيص عن طريق الفحص المخبري للسائل الاصفر – العلاج متوفر بالمضادات الحيوية.

3 - داء الشعرات (التريكوموناس)

– سببه طفيلات سوطية تسمى المشعرة المهبلية وتوجد في أماكن مختلفة مثل المهبل الاحليل في الرجال والنساء والمثانة.

أ – فترة الحضانة 4 أيام وحتى 3 أسابيع.

الأعراض:

في الرجال افراز احليلي قليل مع حرقة عند التبول وتكرار مرات البول.

في النساء افراز مهبلي ذو رائحة كريهة وألم فرجي مهبلي وعسرة الجماع اضافة الي حرقة بولية.

العلاج متوفر.

ثانيا: المجموعات الأكثر مخاطرة أو تعرضا للإصابة.

- مجموعات العمر
20-24- سنة لكلا الجنسين
20-24- سنة للرجال
16-24-سنة للنساء
- الأشخاص الذين يسافرون كثيرا.
- البغايا أو المومسات.
- اللواطين.
- أفراد البحرية التجارية والعاملين في مجال الطيران.
- الذكور غير المختونين.
- وجود حروب وكوارث.
-المجندين وعمال بعض المهن.
- المختونين من النساء.

ثالثا: طرق انتقال هذه الأمراض:

- الاتصال الجنسي الطبيعي أو الشاذ.
- المواليد والرضع بانتقالها اليهم داخل أو أثناء الولادة.
- بالنسبة لفيروس العوز المناعي البشري قد يصاب الرضيع عن طريق الرضاعة الطبيعية.

رابعا: العواقب والمضاعفات:

- تحدث هذه الأمراض أرماد في العين تؤدي إلى العمى أو تحدث التهاب رئوي بين الأطفال الذين تنتقل اليهم العدوي اثناء الولادة مما يؤكد تأثير هذه الامراض على الحمل وعلى الولادة.
- الاصابة بالقروح التناسلية المؤلمة في البالغين نساء ورجالا.
- اصابة النساء بامراض الحوض الالتهابية - والآم الحوض المزمنة - العقم.

إصابة الذكور بالتهاب الاحليل والبربخ والعقم.

- بعد حدوث العدوي الاولية قد يؤدي المرض المنقول جنسيا كالزهري (السيفلس) والايدز الي موت الاطفال البالغين على حد سواء.
- قد يسبب المرض المنقول جنسيا موت المريضة بطرقة غير مباشرة عند حدوث الاجهاض التلقائي أو الحمل خارج الرحم. أو سرطان عنق الرحم.
- هناك شواهد أكيدة على ان الامراض الشائعة المنقولة جنسيا تسهم في انتشار مرض الايدز.
- تسبب هذه الامراض اعباء اجتماعية ثقيلة إذ يجب ان تكرس الكثير من وقتها لمواجهة عواقبها، وكذلك تسبب هذه الامراض انخفاض انتاجية الرجال والنساء مما يسبب خسائر جسمية في الدخل القومي.

خامسا: أهم الأمراض التي تنتقل عن طريق الجنس:

1 - الزهري (السيفلس)
- هو مرض مزمن معدي. وينتقل الي الجنين وهو في الرحم.
- سببه جرثومة اللولبية الشاحبة.
- مدة الحضانة تمتد من 10 - 90 يوما.
- يتميز بظهور تقرحات تناسلية في مناطق متعددة، مع ضخامة في العقد اللمفاوية المنطقية.

يمر المرض بثلاثة ادوار:

1 - الدور الاول: دور القرحة: ويتميز بظهور تقرحات على الاعضاء التناسلية أو على اجزاء اخري من الجسم مع تفاعل العقد اللمفاوية القريبة من مكان الاصابة.

2 - الدور الثاني: يتميز بغزو جرثومة المرض للجلد والاغشية المخاطية المختلفة وظهور الطفح الجلدي مع الشعور بالتعب والأرق والصداع والالام المعممة وترفع حروري وزلال في البول.

3 - الدور الثالث: حيث يتميز الدور الثالث بشمول تلف جميع انحاء الجسم وظهور الدمامل النازة المختلفة واصابة القلب والاوعية واصابة الجهاز العصبي ويتم تشخيص المرض في المختبر عن طريق اختبارات مصلية على دم المريض.

والعلاج متوفر بالمضادات الحيوية.

4 . داء المدثرات التناسلي:

سببه طفيليات تمتلك صفات الجراثيم والحمات تسمى اكلاميديا

- فترة الحضانة من 2 - الي 3 اسابيع

ـ الاعراض: افراز احليلي ومهبلي وحرقة عند التبول والآم حوضية وتناسلية

ـ العلاج : متوفر

5 - داء المبيضات:

– سببه فطر يشبه الخميرة يسمى المبيضة البيضاء.

– ليس لها فترة حضانة محددة.

– توجد عوامل مؤهبة ومساعدة على الاصابة بها مثل الداء السكري – الحمل – استخدام المضادات الحيوية واسعة الطيف – موانع الحمل الفموي – العلاج بالسيتروئيدات – العلاج بمضادات المناعة – إضافة لفقر الدم.

الأعراض :

حكة مع تهيج الفرج والمهبل وإفرازات مهبلية بيضاء وعسر الجماع وحرقة مع التهاب الحشفة والقلفة لدى الرجال وحرقة بولية.

العلاج متوفر.

6 - الحلاء التناسلي:

– سببه حمة راشحة

– مدة الحضانة 4 – 5 أيام.

– الأعراض تتميز بوجود حويصلات تناسلية ثم تقرحات تناسلية مع ضخامة العقد الاربية واصابة عنق الرحم بالتهاب والتهاب الاحليل وقد يحدث احتباس بولي مع ألم نتيجة التقرحات.

– العلاج ممكن بمضادات الحمات والنظافة.

7 - التاليل التناسلية:

– تتواجد في المناطق التناسلية والمناطق الشرجية والمستقيمة.

سببها الحمة البابوفية وتنتقل عن طريق الالتماس المباشر من شخص لشخص –

مدة الحضانة 3 اسابيع إلى 8 شهور ووسطيا حوالي 3 اشهر.

الاعراض :

مظهر التاليل واضح وكذلك انتشارها ويزداد نموها بوجود افراز مهبلي أو افراز مستقيمي أو الحمل وافرازات تحت القلفة وعند عدم النظافة الشخصية.

– توجد علاجات خاصة لها.

8 - القرحة الرخوة:

– سببها جرثومة صغيرة من نوع العصبيات السلبية الغرام تسمى هيموفليس ديكراي.

– مدة الحضانة قصيرة من 1 – 8 أيام.

الأعراض :

تتميز بتقرحات تناسلية مؤلمة ومتعددة مع ديبلات أربية وضخامات عقدية.

– العلاج متوفر.

9 - الورم الحبيبي الاربي

– سببه جرثومة عضوية سلبية الغرام تسمى الدنوفانية الحبيبية.

– فترة الحضانة غير محددة من أيام حتى شهرين.

الأعراض:

قرح تناسلية ـ حبيبومي

العلاج : متوفر

10 الورم الحبيبي اللمفي التناسلي

– سببه المتدثرة الحثرية.

– مدة الحضانة 4 – 35 يوم.

العلامة الرئيسية هي الدبل الاوروبي (ضمامة العقد الاوروبية) إضافة الي حويصلات او حكاكات غير مؤلمة على الاعضاء التناسلية أو تقرحات بسيطة والعلاج بمضادات الجراثيم.

****

الاعلام والاسرة

عيشه بنت محمد محمود

لم يعد الاعلام يقتصر على تقديم الاخبار الدقيقة أو نشر الحقائق والمعلومات وبثها فقط، كذلك لم يعد للتشويق والتسلية وإنما أصبحت مهمة الاعلام هي الحواربين جميع فئات المجتمع، والاعلام في أحد مفاهيمه نوع من التعبير عن الرغبة في التواصل مع الآخر.

وقد اصبُح الاعلام هو القناة الرئيسية لبث أو نشر كل أنواع المعارف والعلوم والآداب والفنون والافكار والآراء والمعتقدات فهو مرآة الانسان المعاصر.

كما أنه الوسيلة الاقوى في اقتلاع الحوجز النفسية والثقافية ومحو الحدود الزمانية والمكانية.

ومع مطلع النصف الثاني من القرن الماضي تباينت المستويات وامتلكت بعض الأمم المعلومات والتكنولوجيا دون البعض الآخر وانتشرت المطابع في بعض البلدان، وتم استخدام وتطوير السينما وبدأ الوعي الفردي يتطور، خصوصا بعد اختراع التلفزيون والكامبيوتر، ومراكز المعلومات، والتوابع الصناعية المختلفة، وصناعات الفضاء.

وأصبحت لكل من هذه الوسائل خصائصه التي تفرض وجوده، حسب الزمان والمكان، وحسب حالة المتلقى الاجتماعية، مستمعا كان أو مشاهدا أو قارئا، ووجدت الاسرة نفسها أمام كم هائل من وسائل الاعلام، وعليها في فترة وجيزة أن تتعامل مع هذه المادة الجُديدة. كما أصبح عليها أن تتقبل الواقع حتى ولوكان مغايرا لواقعها وخصوصيتها التي سرعان ماتفقدها تحت وطأة الشائع والغالب الذي يكتسب سلطته من شيوعه وغلبته، وليس من الأصالة والتميز.

ونتيجة لذلك فمن اللازم الآن مراجعة الأسس التربوية داخل الأسرة، فمنع الصغار مثلا من متابعة التلفزيون، يكاد يكون أمرا مستحيلا، وهي تجذبهم ساعات طويلة وتحرمهم في نفس الوقت من تنمية مهاداتهم اللغوية، عن طريق الاتصال الشخصي والمحادثات الحية مع الآخرين، خصوصا في مجتمعنا الذي هو من المجتمعات المفتوحة، وتعتمد فيه تربية الأطفال علي عنصر المحادثة والوسط المعيش.

هؤلاء الاطفال معرضون أكثر من غيرهم للتشريد والفصل عن الذات وحتى عن الهوية الثقافية، والخصوصية الحضارية للمجتمع، والاسرة وحدها هي التي تستطيع مواجهة الموقف، والمشكلة ليست في الكم الهائل من وسائل الاعلام وانما في العقلية التي تتحكم في هذه الوسيلة وتوجهها وتستعمله الأغراضها الخاصة، فالام مثلا، يمكنها أن تجعل مشاهدة طفلها للتلفزيون تشاطا إيجابيا منذ البداية. حيث يمكنها تشجيعه علي مشاهدة البرامج المفيدة ومراقبة مايشاهده للتعرف على النوعية التي يفضلها طفلها.

وتشرح له في نفس الوقت أن مشاهدة التيلفزيون لابد أن يكون لها هدف وحدود وضوابط، وهو مايجعل الطفل يفكر فيما يشاهده، وبالتالي يكون مشاركا ومحاورا لأمه في كل شيء.

كما أن طرح الاسئلة عليه حول مايشاهده قد ينمي لديه مهارات مختلفة لعل أهمها مهارة التركيز، خصوصا أن الطفل عادة يفضل أن يكون صوت التلفزيون عاليا، وهي عادة تستطيع الام التغلب عليها بضبط درجة الصوت حتى لاتؤذي حاسة السمع لديه، فالجلوس معه حتى ولو كان أثناء المشاهدة، أفضل بكثير من تركه في عزلة مع جهاز التلفزيون، أو غيره من وسائل الاعلام لأن ذلك يساعد علي تنمية العزلة الاجتماعية.لذلك فالتعامل الصارم مع الآلة قد يؤدي مع مرور الزمن – من الوجهة النفسية – الي فقدان حس الابداع لما يلعبه الخيال، والاحلام، واللاشعور، من أهمية في تاريخ الابداع والاختاراعات البشرية، والذي يجب أن نعيه أكثر في هذه الفترة بالذات، هو أن هذه الأجهزة تحمل الينا ثقافة نقل وتكرار اكثر من كونها ثقافة تفاعل وتمثل وابداع.

الإعلام والتغير الثقافي في موريتانيا

الأستاذ محمد المختار ولد المصطفى

إن إختياري لهذا الموضوع يأتي إستجابة لرغبة شخصية أملتها علي طبيعة المتهم بالقضايا الإجتماعية أو المتخصص في علم الإجتماع الذي يقع ضحية لتحديات الأحداث المماثلة للدراسة وتتبع العوامل المتحكمة فيها منقادة للإستجلاء واستخلاص القواعد المنظمة لسيرورتها، ووضعها مادة سهلة لرجال التنمية والإنماء الثقافي وتوجيه مسيرة المجتمع في هذا العالم الصائر دائما وأبدا. ولكن الأوضاع الذاتية والظروف الموضوعية تجعله رغم ذلك عاجزا عن مواجهة هذا التحدي إذ ليس بإمكاني دراسة هذا الموضوع دارسة علمية منهجية تعتمد أساليب التحقيق العلمي والقياسات الكمية والنوعية ووضع الفرضيات النظرية والتأكد من مصداقيتها في الواقع إلا أن الإمكانية الوحيدة أمامنا الآن هي أن نتأمل حول الموضوع ونحلل تحليلا نظريا، قليل الفائدة مقارنة بإمكانيات البحث العلمي، وحسبي في هذا المقام أن أثير روح البحث وأستفز أصحاب الإمكانيات والمكانات العلمية في جامعتنا الفتية وفي مراكز البحث العلمي الوظيفية وشركائنا في هذا المجال عسى أن يوجد من بينهم من يشد إهتمامه هذا الواقع الذي يتحول ويتغير ويتفاعل، هذا المجال الخصب لمختلف الدراسات الإنسانية والأنترو بولوجية، والتربوية والاعلامية وعلم النفس السيولوجية... الخ وأتمنى أن أجد جهة علمية تهتم بجدية هذه المجالات لتفهم هذا الواقع وإمداد البشرية بصورته الحقيقة. والقوانين الإجتماعية التي تحكم في هذه الظواهر.

ورغم إضراري لطريقة التأمل هذه إلا أنني والأغراض إجرائية سأقسم الموضوع بإعتبار مكونات العنوان إلى ثلاثة محاور وخلاصة واضعا الروابط التساندية بين مفردات هذا العنوان "الإعلام، تغير، ثقافة" تاركا مفهوم الواقع الموريتاني لضرب الأمثال وتوضيح المقال. لتكون صياغة الموضوع في إطار هذه المعالجة" أثر الإعلام في تغيير الثقافة" في موريتانيا، وهكذا فإن المحور الأول سيدور حول مفهوم الإعلام. أهدافه، وسائله حرية الرأي، أما المحور الثاني فسيكون التغيير مفهومه، مجاله، إتجاهاته، والمحور الثالث الثقافة، المفهوم، الخصائص، الثوابت والمتغيرات الثقافية وخلاصة عن العلاقة بين الاعلام والتغيير الثقافي بأمثلة من الواقع الموريتاني.

أولا : الإعلام(المفهوم. الزهداف. الوسائل. وحرية الرأي)

حياة الكائن الحي تدين باستمراريتها للإضافة أو الأخذ من مشمولات المحيط أو مايعبر عنه في علوم الحياة بخاصية التمثيل الغذائي والإنسان ككائن حي يتمتع بنفس الخاصية وبصفته المميزة يتشكل بفعل التمثل المعرفي الذي يتراكم ويتفاعل بدرجات تحددها مستويات الإتصال والأخذ والعطاء. وهي مماثلة يلجأ إليها السوسيولوجيون والأنتربولوجيون خاصة المدرسة الوظيفية" - رايد كليف براون وغيره .. استعرضناها لتبرير فرضية لما نعرب عنها صراحة، ولكن استعراضها في بداية تحديد إجرائي لمفهوم الإعلام نقترحه علي الذين لايؤمنون إيمانا مطلقا بوثوقية التحديدات السابقة إذ أننا لانريد لأي كان أن يتأسى بتعريفنا كما لم نلتزم حرفيا بما يرمي إليه غيرنا ومن هنا فانه بإمكاننا التعامل مع مفهوم الإعلام بإعتباره "مجموع

العمليات والأساليب والوسائل التي يقوم بها الأفراد أو المجتمعات المحلية أو الدولية قصد تبادل المعلومات والآراء والأفكار فيما بينها بغية خلق ظروف أحسن للتكيف والإستمرار وإقامة المدنيات أو التعلق بأسمى الاعتبارات الروحية والمعنوية".

وتعاملا مع هذا التعريف فإن العمليات المقصودة هي تلك المنظمة في مفهوم نظرية الإتصال والعلاقة بين أطرافها الباعث والمستقبل وموضوع الرسالة وأدوات التواصل من لغة أو صورة أو إشارة. إلخ. ووسائل الإتصال خاصة الماردة أو تلك التي تقتحم المنازل والمكاتب والآذان والأسماع والأبصار بدون سابق إستئذان إنها لاتستأنس ولاتسلم على أهل البيت ولاتأت بالضرورة من الأبواب وتدخل على الناس «حين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء»، هذه الوسائل التي أضحت تجمع العالم كله حول شاشة واحدة وتقرؤه صحيفة واحدة، وفي طريقه الي أن يقرأها في نفس الوقت إن شاء وهو مايتطلب من الباحثين في المجالات الإنسانية أن يعملوا جاهدين وبروح علمية عالية علي مساعدة الناس في ترتيب مواد هذه الوجبة العالمية وتحديد مايمكن لكل جهاز نفسي وثقافي هضمه والإستفادة منه. ومساعدة الإنسان فردا ومجتمعا" على النمو الشخصي والثقافي المتوازن لأن الإبتلاع القسري قد يؤدي إلي التخمة التي قد تكون المخمصة خير منها ولست من المنزعجين من الآخر ومعرفة ماعنده لأني لاأعبد ذاتي ولا أرى في الإنسان أيا كان إلا الخير إذ هو حامل الأمانة وباني الحضارة على الرغم من الإختلاف القيمي ذي المصادر المتعددة، ولست كذلك من القائلين بصرامة التشكيل المعرفي والثقافي وإنما من دعاة إدراك حقيقة الإنسان الكائن المتمنع على إستيعاب نفسه بنفسه ولعله العجز الذي يقود إلي التسليم والإيمان. وإذ كنت قد حددت مفهوما عاما للإعلام من حيث هو عمليات ووسائل تتكامل لتحقيق أهداف تبادل المعارف والإثراء للاستمرارية فإن حرية تعاطي الحقيقة واستقبالها قيمة انسانية واخلاقية تخدم هذه الأهداف وتساعد على وضوح الرؤية والتفاهم الإنساني بين المجتمعات وتصالح الأجيال والثقافات وتنامي التطور المعرفي. وهي أمور تتطلب من محركي العملية الإعلامية صاحب الفكرة أو الرسالة والمستقبل ومساعدتهم من رجال التربية والتهذيب والإجتماع التحلي بمناقبيات الروح العلمية" إذ لاحب إلا للحقيقة ولاكراهية إلا للتعصب" رغم نسيبة الحقيقة.

ثانيا : التغير: مفهوم - مجاله - إتجاهاته:

إذا أخذنا مدلول التغيير بالمعني اللفظي للكلمة فإنه يعنى الإنتقال من حالة إلى أخرى وإذا أسند إلي غيره يقع التحول على المسند إليه فيكون التغير الإجتماعي، أو الثقافي والإقتصادي أو السياسي. وحتى على مستوى السلوك، التغير في الإتجاهات والمواقف ومختلف الأحوال والأوضاع. وبالنظر إلي مداه يكون جزئيا أو شاملا أو جذريا أو بسيطا وبالنظر إلى مراحله تغييرا" تدريجيا" أو تغييرا سريعا" وبالنظر إلى فاعله تغييرا قصديا أو مخططا أو تغييرا مفاجئا تلقائيا الأول من فعل الإنسان والثاني من طبيعة الكون وبالنظر إلى اتجاهاته يكون التغيير سائرا إلى الأحسن أو الأنمى فيكون تغييرا في أتجاه التقدم أو سائرا إلى الأدنى أو الأرذل وفقا للمعايير التي تطرحها الأمم والشعوب فيكون التغير رجعيا أو قائدا إلى التقهقر أو الفساد وبالنسبة لنفس المعايير. وهكذا فإن التغيير سنة من سنن الله التي أودعها هذا العالم وهو ناموس مطرد في كل مناحي الحياة؟ والذي يهمنا منه في هذا المقام هو تلك التحولات التي تعرفها الأوضاع الإجتماعية والثقافية والإقتصادية والتي تشكل عاملا من عوامل الإضطراب النفسي والثقافي وأحيانا عدم التوازن الثقافي أو التجاذب مع الأوضاع التي كانت تتسم بنوع من الإنسجام والإستمرارية ولأن هذا التجاذب قد يؤدي إلى بعض الصدمات أو إلى عرقلة اتجاه التغير أو مداه أو تحويله إلى مجرى غير مقصود أو غير صالح للناس. فإن الإهتمام بتشخيص الأوضاع التي كان عليها ذلك الواقع والعوامل التي أدت وتؤدي إلى التغير ومضاعفات ذلك التغير لتحديد آليات التكيف وتجديد أجهزته أضحى ضرورة من ضرورات التنمية

الثقافية أو الإجتماعية بصفه عامة. وهو أحد بواعث كتابتنا لهذا "الموضوع" الذي نرمي من ورائه إلي المساهمة في إستنهاض الإرادات الباحثة عن الرقي الحضاري المنسجم والمستمر ذلك الرقي الذي يتوكأ على تكامل الحلقات وانسجام الماضي مع الحاضر لرسم ملامح المستقبل المنشود ولئن كانت الثقافة هي مجال التغير الذي نتحدث عنه هنا فإنه ينبغي لنا أن نحدد مفهوم الثقافة الذي نقصده في هذا الصدد.

ثالثا: الثقافة (المفهوم، الخصائص، الثوابت، المتغيرات).

المفهوم اللغوي للثقافة من ثقف الرجل إذا حذق الأشياء وفهمها فهما جيدا و صار ذا فطنة وذ كاء وثبات معرفة. أو حتى لو أخذنا مدلولها الخاص بتنمية بعض الملكات العقلية أو تسويه بعض الوظائف البدنية فإن هذين المدلولين. لايكفيان لمقصدنا في هذا التحليل فالمهموم الذي نتعامل معه هنا هو الثقافة بمعنى "طريقة أني مجتمع في الحياة" بما تشمله طرق المجتمعات المختلفة من وسائل وأدوات لتسخير الطبيعة وبمعنى آخر هي ذلك الكل من الوسائل والادوات والعادات والاعراف والقوانين والقيم الأخلاقية والروحية والإنتجات المادية والروحية وأساليب التنظيم الإجتماعي الذي يسود في مجتمع معين ويشكل ملامح مشتركة تميزه نسبيا عن غيره من المجتمعات وتستمر هذه الملامح علي نمط من الإستقرارا النسبي الذي يسمح للملاحظين والدارسين بتحديد مستويات التغير وأنماطه الشيئ الذي جعل البعض يتحدث عما يعرف بالثوابت والمتغيرات في الثقافة أي ثقافة. وهو مايعني أنه إذا كانت خصائص أي ثقافة يمكن أن تستخلص من المقاربة أعلاه: هي : الشمول، والإستمراية، والتكون الندريجي، والنسبية، والتغيير الدائم، وإنها تهدفا دائما إلى التكيف مع الطبيعة بمعانيها المختلفة. فإن هناك إعتقاد بأن لكل أمة أو مجتمع أو مدنية نمطا ثقافيا معينا وهذا التعيين يتأتى من أن هناك ثوابت أي أسس وخصائص عامة لاتبدوا محسوسة والتغير بحكم مستوى التعقيد أو الرسوخ في البنيان الكلي للجهاز الثقافي الذاتي للمجتمع وبحكم العلاقة بالمحيط. وبحكم الشعور بالذات الحضارية المتميزة وهذه المستويات بالنسبة لنا نحن الموريتانيين هي: العقيدة الدينية بعمومياتها واللغة وغيرهما من المظاهر الثقافية ويقابل هذه الثوابت الكثيرة من المعطيات الثقافية التي تتغيير بسرعة وتخفي وتظهر أخرى تحل محلها فالملحفة والدراعة، والحفاوة بالضيف والتعاون علي مختلف النائبات والدلالات الثقافية على المكانة في المجتمع الموريتاني البدوي والقروي التقليدي مظاهر مازالت معاشة ولكن مضامينها بدأت تتغير وفي طريقها إلي الإضمحلال. ولكن هل للإعلام من دور فاعل في تغيير هذه الثقافة؟ وكيف يستطيع المجتمع تجنب تلك الاهتزازات الناجمة عن ذلك التغير

رابعا خلاصة عن العلاقة بين الإعلام والتغير الثقافي.

إن تأثير المعارف المتبادلة بوسائط الإتصال المختلفة على ثقافات الأمم والشعوب تأثيرا بارزا تتجلى مظاهره في التبدلات السريعة في المواقف والآراء والقيم وطرق الإنتاج وأساليب التكيف والتفاعل مع المحيط الخارجي وهي أمور تتخذ أشكالا مزدوجة الاتجاهات فهي موجبة؟ وضرورية لإثراء الأساليب وامتلاك تجارب الآخرين في الحياة وتجاوز الجمود والإنغلاق على الذات والدفع إلى الحداثة والتجديد والعصرنة والدخول في العبقرية الكلية للإنسان الكلي الكوني الذي يعبر عن نفسه بما نسميه حضارة الإنسان. وهي في نفس الوقت عوامل مساعدة على الاحتواء والهيمنة الحضارية وتغلب قيم الأقوياء بوسائلهم وطمس خصائص الآخرين، وتعريض أجهزتهم الثقافية إلي الإهتزاز العنيف والتغير العشوائي الذي يؤدي إلي المسخ والإنحلال الخلقي، إن الانسان الموريتاني علي وجه الخصوص وجد نفسه في السنوات الأخيرة في قلب العالم في حين كان وإلي قريب أقرب مايكون إلى السجين في محيطه الضيق اللهم إلا ماكان من بعض الإذاعات أما وقد أصبحت أشكال وثقافات الشعوب من

مختلف بقاع العالم تدخل إليه ويراها نهارا جهارا ويسمعها ويقرؤها، وبحكم ميله إلى النظر الخارجي أضحى الأنتاج المحلي للأفكار والأشياء بضاعة غير مرغوبة عند عدد يتزايد من ضحايا الألينة، فكثيرة تلك المشادات التي توجد حول الشاشة الصغيرة بين مشاهدي التلفزة الوطنية ومشاهدي القنوات الأخرى، صحيح أن الإمكانات البشرية والمادية والتجارب المتوفرة لدى تلك القنوات لاتمكن مقارنتها مع ماعندنا ولكن وسيلة التكيف والتطور الأساسية هي إدراك الذات والذات الموريتانية لن تدرك إلا من خلال استيعاب، الواقع المحلي الذي لاتتوقع ان يهتم به غيرنا. فما فائدة أن نمضي وقتا طويلا في مشاهدة فلم إجتماعي يحكي بعض التجارب الإجتماعية لدول أخري قد يشابه ذلك الواقع واقعنا ولكنه على أية حال ليس هو. وكذلك فإن مشاهدة فلم بليسي يصف أنماطا من متابعة المجرمين في دول مختلف الأساليب والأنظمة القانونية والأخلاقية. وهذا لايعني أنه لاتوجد أمور مفيدة، إلا أن الأمر بتطلب القدرة: أولا على التميز وثانيا القدرة على الإلتزام بالاصلح وثالثا الشك المنهجي في كل الأمور مالم تصمد أمام معايير يتم التواضع عليها في كل مجتمع أو التراضي عليها من مشمولات الثقافة.

وهكذا فإن العلاقة بين الإعلام والتغير الثقافي علاقة سببية في الاعلام بمختلف معانيه أداة التغير والتغيير الثقافي والاجتماعي والاقتصادي.

منوعات • منوعات •منوعات • منوعات • منوعات • منوعات • منوعات • منوعات •

عن أبي داوود والترمذي عن أبي مسعود رضي الله عنه قال قال :رسول الله صلي الله عليه وسلم "لايبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فإني أحب أن اخرج وأنا سليم الصدر".

قال معاوية بن ابي سفيان لصعصعة بن صحوان صف لي عمر بن الخطاب فقال: كان عالما برعيته، عادلا في قضيته، خاليا من الكبر، قبولا للعذر، سهل الحجاب، مصون البار، متحريا للصواب، رفيقا بالضعيف، غير محاب للقريب ولاجاف للغريب".

قال خليل رحمه الله: الرجال اربعة: رجل يدري ويدري أنه يدرى فذلك العالم تسألوه، ورجل يدري ولايدري أنه يدري فذلك الناسي فذكروه ورجل لايدري ويدري أنه لايدري فذلك الجاهل فعلموه، ورجل لايدري ولايدري أنه لايدري فذلك الاحمق فارفضوه.

وقال المامون الرجال ثلاثة: رجل كالغذاء لايستغى عنه، ورجل كالدواء يحتاج اليه حينا، ورجل كالداء لايحتاج اليه ابدا.

قيل الحكمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان.

mais aussi un tournant dans la tactique militaire des résistants. Les attaques hasardeuses, mal préparées et menées par des effectifs parfois importants (jusqu'à 1000 hommes) cèdent le pas à des actions de guérilla menées par de petits groupes, plus aguerris, plus mobiles et pouvant se déplacer sans attirer l'attention. L'occupation du sud entraîna un déplacement territorial des bases de la résistance vers le nord et la direction politique fut désormais assumée par Cheikh Ma El Aïnine, chef spirituel et savant respecté. Pendant des années ses idées réussiront à mobiliser toute une génération de mauritaniens. Le flottement dans le camp français consécutif à la disparition du "conquérant pacifique" profita à la Résistance : de nombreuses tribus reprirent confiance et rejoignirent le camp anti-français. Cheikh Mâ El Aïnine écrit à tous les chefs religieux et exhorte

les principaux chefs des tribus du Nord, réunis près de lui à Smâra, à la Jihâd.

Au Trarza et au Brakna la résistance est animée respectivement par Ahmed Ould Deïd (redoutable guerrier selon la tradition etentissants : évacuation du poste avancé d'Akjoujt et anéantissement du premier contingent des méharistes basé au Tagant (combat d'Al Moïnân ou Mangin - dit "Boudarss", l'homme à la dent en or, fut tué).

Au Guidimagha plusieurs soulèvements furent réprimés et les patriotes exprimèrent leur rejet de l'occupation par l'empoisonnement de puits administratifs.

Après moult préparatifs la colonne de l'Adrar, commandée par le colonel Gouraud s'ébranle en fin 1908 vers l'Adrar, repaire montagneux de la résistance. La colonne qui comprend plus de 1000 hommes est appuyée par un ghazzi de ravitaillement et de soutien, conduit par Frèrejean et qui quitte Boutilimitt. Les résistants tentent en vain, au cours de nombreux harcèlements, de stopper la marche du corps expéditionnaire français. Gouraud entre en conquérant à Atar le 09 janvier 1909 et la répression féroce qu'il mène oblige une partie des résistants à se réfugier au Sahara espagnol. Après la mort de Cheikh Mâ El Aïnine, (octobre 1910 à Tiznit), la direction idéologique et politique est assurée par ses fils El Heïba, Hassenna et M'Rabih Rabbou. Sid'Ahmed Ould Aïda, El Welly, Ouajaha, Mohamd El Mamoune, Maminna et Ahmed Ould Hamadi, Ely Ould Meyyâra et bien d'autres, continuent au-delà de 1930 à créer de réels soucis à l'administration coloniale.

Si la lutte armée devait prendre fin dans les années 30 les autres formes de résistance continuèrent à s'exprimer : résistance culturelle au modèle et à l'école coloniale, résistance spirituelle (Cheikh Hamahoullah). Guide religieux il se distingua par son refus net de collaborer avec une administration chrétienne. La force spirituelle qu'il représentait et la grande influence qu'il avait étaient, à juste titre, considérées comme un danger mortel pour l'assise colonial. Il fut constamment persécuté avant d'être exilé en Côte d'Ivoire, en Algérie et en France où il devait mourir en 1943. La résistance mauritanienne au diktat colonial est donc une vieille tradition du pays. Sa richesse et sa complexité rendent vaines toute tentative visant à l'inscrire dans un cadre aussi étroit que celui d'un article de revue.

Par Abdallahi Fall
Inspecteur Enseignement Secondaire

Au Trarza oriental, une autre personnalité religieuse Cheikh Sidiyya Al Kebir prône la non-collaboration et le rejet des chrétiens. Au Tagant la résistance à l'hégémonie grandissante de la France est animée par l'émir Bakkar Ould Soueïd'Ahmed.
Entamées dans le premier quart du 19e siècle (Mollira, Réné Caillé, etc) les missions exploratoires se systématisent avec Faidherbe dans la 2ème moitié du siècle, préparant le terrain à la phase de conquête et d'administration de l'ensemble mauritanien, processus engagé par Faidherbe et ses successeurs.
A l'aube du XXe siècle le bilan de la colonisation de notre pays peut être fait ainsi ; le fleuve et les territoires de la rive gauche sont passés sous administration coloniale. La plupart des émirs et chefs de la rive droite furent contraints d'accepter, souvent de mauvaise grâce des traités "d'amitié et de paix" le plus souvent mensongers et dont le but réel est de permettre la mainmise effective sur les terres. Cette situation ne pouvait qu'etre transitoire et devait évoluer vers l'occupation directe de l'ensemble mauritanien. Le but historique impérialiste devait être réalisé par Xavier Cappolani.

4e période - 1902 - 1940 :
La conquête militaire de la Mauritanie
La conquête de la mauritanie répondait à plusieurs impératifs :
- le commerce battait de l'aile sur le fleuve Sénégal, en raison d'une recrudescence de la résistance, consécutive à un "recul" de la pénétration inaugurée par Faidherbe;
- le Sénégal et le Soudan, régions immédiates, ont été pacifiées au moment où on continue à "déplorer" des "troubles" et des "pillages" du côté des maures de la rive droite.
- la jonction des possessions et territoires sous influence française de l'Afrique du Nord avec ceux de l'Afrique au Sud du Sahara
- la nécessité d'uniformiser la politique coloniale vis-à-vis de toutes les tirbus nomades : celles du Moyen-Niger et du Haut-Sénégal vivaient sous la férule française tandis que celles du Bas-Sénégal et du sahara Occidental continuaient à la rejetter.
Xavier Coppolani, théorien de la "pénétration pacifique", convaincra Paris et Dakar de se lancer dans la mise au pas des populations, de la rive droite. Alliant la négociation, la persuasion les démonstrations de force au fait accompli, il arrive sans beaucoup d'efforts militaires à imposer un protectorat sur le Trarza, le Brakna, le Gorgol, à renforcer ce protectorat par la présence de postes militaires, symboles de la conquête.
En 1903-1904 toute la rive droite comporte une ligne de garnisons permanentes pour "protéger" les tribus soumises et lancer des coups de main contre celles qui choisissent le camp de la résistance.

Principales étapes et formes de la résistance
L'action d'occupation et d'organisation des territoires conquis par Cappolani provoqua de vives réactions au Trarza et au Brakna d'abord, puis au Tagant et en Adrar. Au Trarza et au Brakna la faiblesse de concertation d'organisation, ajouté à la mauvaise qualité de l'armement des groupes de résistants, firent que les nombreuses attaques n'empêchèrent pas Coppolani de s'installer en plein cœur de la mauritanie, au Tagant et qui devait servir comme base de pénétration de l'Adrar, considéré comme le bastion des actions de résistance.
La mort de Coppolani, inspirée par Cheikh Mâ El Aïnine et exécutée par Sidi Ould Moulaye Zeïne et un groupe de jeunes résistants, le 12 mai 1905, à Tidjikja marque un arrêt de la conquête ,

Le XIXe siècle est celui des grands préparatifs de la conquête territoriale de la Mauritanie. Les contacts franco-mauritaniens se multiplient et s'approfondissent. La conquête de la Mauritanie devait avoir pour préalable cette de la vallée du Sénégal, voie de pénétration privilégiée. De retour au Sénégal en 1816 les français inaugurèrent une politique de colonisation agricole qui exige une occupation effective des terres. Or les lieux choisis (le waalo)) pour abriter cette colonisation relèvent de l'influence politique du pays maure (les Trarza) depuis le XVIIe siècle. En ce début du 19e siècle l'ensemble mauritanien comprenait le Trâb-al-Bidhâne, avec quatre émirats maures individualisés (Trarza, Brakna, Tagant, Adrar) et plusieurs confédérations tribales plus ou moins indépendantes ou liées à ces émirats. Dans le "Bilâd as-Sudân" (pays des noirs), regroupant des populations installées de part et d'autres du fleuve, le bas-Sénégal abritait le royaume du waalo, la moyenne vallée abritait quant à elle, des populations pulaar et le Haut-fleuve des soninké. La mise en pratique en 1819 du plan de colonisation agricole par le Colonel Schmaltz, gouverneur du Sénégal et dépendances, en entraînant une cession de territoire du royaume du waâlo, convoité par les maures et les Fuutankoobé, allait provoquer de vives réactions de désapprobation de la part de ces derniers. De 1819 à 1821 le Waalo fut ravagé par des attaques répétées de mauritaniens. Ce fut Amar Ould Mokhtar émir des Trarza, qui dirigea la coallition antifrançaise mauritanienne et demeura intraitable sur ses droits sur le Waâlo et ce jusqu'à sa mort en 1829. Le successeur et fils d'Amar, Mohamed Lehbib, adopta une ligne de conduite identique. Selon les circonstances il eut recours à la diplomatie, aux alliances et à la force pour sauvegarder les intérêts de sa nation. Le commerce saint-louisien continua donc de souffrir de l'hostilité des mauritaniens. L'ordonnance royale du 29 janvier 1842 qui supprimait officieusement les escales sur le fleuve, recommandait la pénétration et l'occupation du pays.

C'est Louis Faidherbe, gouverneur du Sénégal en 1854, qui symbolise le mieux cette volonté de conquête et qui mit en application une politique dite de "fermeté" (entendez l'expansionnisme impérialiste) à l'égard des "nomades pillards" de la rive droite.

"Nous devrions disait Faidherbe, dicter nos volontés aux chefs maures pour le commerce de la gomme. Il faut supprimer les "escales"... employer la force si l'on ne peut rien obtenir par la persuasion. Il faut supprimer tout tribut... Nous devons être les suzerains du fleuve. Il faut émanciper le oualo en l'arrachant aux Trarza et protéger les populations agricoles de la rive gauche contre les maures".

En mars 1855 Faidherbe dirigea une expédition au Centre du Waalo contre une coalition du wolofs et de maures conduite par Ely "N'Diombatt" fils de Mohamd Lehbib et de N'Djombott M'Bodj, princesse du Wallo. Malgré la nette supériorité militaire des hommes de Faidherbe, la coalition mena de multiples attaques contre des intérêts français.Le coup d'éclat de cette lutte anti-coloniale sera l'attaque de Saint-Louis par Mohamd Lehbib en avril 1855. Cette attaque eut surtout un impact psychologique en montrant la détermination des habitants de la rive droite à défendre leur liberté et leurs intérêts. Dans le haut-Sénégal un autre danger menaçait les intérêts français dans la région : c'est le mouvement d'essence religieuse d'Al-Hadji Omar Tall. Le Guidimagha mauritanien deviendra une base de sa résistance. La place forte de Guémou est le siège en 1859 d'une dure bataille qu'il livre contre les troupes de Faidherbe. Le réformateur disparu ; le flambeau de la résistance sera repris dans le pays soninké par Mamadou Lamine Dramé dans les années 1880. La résistance se poursuivait pendant ce temps au Fouta où Abdoul Bokar Kan mena pendant trois décennies une lutte âpre et héroïque contre Faidherbe, Pivet-Loprade, Vallière, Brière de l'isle et bien d'autres.

d'œuvre capable de la mettre en valeur au profit des métropoles.La traite des noirs connut une expansion sans précédent. Arguin prit de l'importance en tant que comptoir drainant chaque année entre "700 à 800 esclaves de Guinée" (Ca da Mooto - 1455-57 - Relation des voyages à la côte occidentale d'Afrique). Si l'intérêt des portugais pour les côtes mauritaniennes décroît à partir du 16e siècle, par contre celui des autres puissances ira en croissant et la Mauritanie ne cessera plus de subir les effets des modifications du commerce transsaharien et de l'expansion de l'économie coloniale européenne.
Les hollandais feront d'Arguin un des points d'attraction de la gomme mauritanienne, concurrençant ainsi la compagnie des Indes (société française installée à Saint-Louis du Sénégal) qui achetait cette gomme aux escales du fleuve Sénégal.
Tour à tour, toutes les puissances en lice vont s'approprier le "Castello d'Arguin" des Portugais. Plus que toutes les autres nations européennes, c'est la France qui inaugure une politique hégémoniste vis-à-vis des mauritaniens dès le 16e siècle. Ils instaurent un système économique colonial destiné à exploiter les richesses et les énergies des peuples de la région. L'Imam Nasr-ed-dîne tentera de mobiliser ces derniers contre les chrétiens. Il les appelera notamment à empêcher la traite des esclaves et boycotter systématiquement les comptoirs français.

La guerre d'Arguin

Grâce à l'action énergique d'André Brüe, directeur de la Compagnie du Sénégal, celle-ci va s'orienter vers la réalisation de ses desseins monopolistes sur la côte mauritanienne, y compris par la force. Pendant dix ans et au mépris de ses interdictions et de ses manœuvres militaires d'intimidation ou de répression, les mauritaniens continueront à commercer avec les hollandais et les anglais au nez et à la barbe des navires français, omniprésents à Arguin et à Portendick, plus au sud.
En face d'André Brüe, il y avait "Ali Chandhûra fils de Heddi Ould Ahmed Ben Demâne. Les intérêts divergents des deux nations firent que les tentatives d'accord échouèrent. De nombreuses batailles opposèrent les Trarza d'Ali Chandhûra aux français de Saint-Louis, déterminés à empêcher toute traite sur la côte. Tour à tour le fortin d'Arguin est occupé par les uns et les autres. Le sommet de la confrontation fut sans doute le siège qu'Ali Chandhûra mit autour d'Arguin, pendant près de trois mois (du 25 octobre 1721 au 11 janvier 1722) et qui se solda par la reddition des débris de la garnison française. Le fort fut repris en 1724 par Périer de Salvert, puis démoli après le traité de la Haye (13 janvier 1727) qui écarta de la course les Hollandais. Les mauritaniens répliquèrent par un boycott systématique des vaisseaux français et le renforcement des échanges avec les anglais. La guerre continuait, intermittente entre mauritaniens et français. Plusieurs embarcations françaises et leurs équipages furent interceptés (les chaloupes du "Duc d'Orléans", du "Mignon", du "Cupidon", etc).
Après plus de dix ans de vains efforts la compagnie du Sénégal entra en contact avec Amar Ould Ali Chandhûra (qui avait remplacé son père en 1727)) et déclara renoncer à l'exigence de ne traiter la gomme qu'aux escales du Sénégal, tout en continuant à en exclure les autres européens. Grâce à leur fermeté et aux sacrifices consentis les mauritaniens réussirent à imposer aux français la reconnaissance de leurs droits en tant que maîtres de la terre.

3ème période - 1817-1902
Les français aux portes de la Mauritanie

Pénétration Coloniale et Résistance en Mauritanie

(Aperçu historique du XVe siècle à l'Indépendance)

Le "Trab al bidhâne" (pays des maures) ou Mauritanie actuelle n'a été occupée militairement qu'à l'aube du XXe siècle. Il faudrait sans doute chercher dans ce fait l'explication du classement, par la majorité des travaux d'histoire de la Résistance à la pénétration coloniale, dans les limites étroites des quatre premières décennies de ce siècle.
La Mauritanie fut en butte aux entreprises coloniales dès l'arrivée des portugais au XVe siècle et les sacrifices et les efforts consentis par nos populations depuis , pour sauvegarder leur liberté méritent, à notre avis, d'être cités dans le registre de la Résistance.Celle-ci fut multiforme et s'adapta aux conditions historiques qui prévalurent à tel ou tel moment.
Les lignes qui vont suivre se défendent d'avoir l'ambition de faire l'histoire de la Résistance. Elles visent tout au plus à présenter un aperçu historique succint de cette phase cruciale de l'histoire du peuple mauritanien.

Première période - 1443-1713
Les tentatives portugaises
Les premiers européens à entrer en contact par la côte atlantique avec les mauritaniens sont probablement les portugais. Puissante nation maritime à l'époque, le Portugal a su très vite faire profiter sa marine des dernières découvertes techniques dans le domaine de la navigation. Des raisons essentiellement économiques sont sans doute à l'origine de l'intérêt de l'Europe pour les côtes africaines. Il s'agissait de découvrir de nouvelles routes maritimes pour atteindre les Indes sans passer par le Moyen-Oriente dont les musulmans contrôlaient les principaux accès. En plus, une liaison directe avec les côtes atlantiques africaines, permettrait de "court-circuiter" les caravanes transsahariennes qui ramenaient vers le rivage méditérranéen les produits du Soudan et notamment les esclaves et l'or.
Les premiers portugais semblent surtout intéressés par le nombre d'habitants isolés qu'ils pouvaient razzier et revendre en Europe : 1443, 200 prisonniers, 1444, 165 victimes. Très rapidement les autochtones se mobilisent pour faire face aux razzieurs chrétiens
En 1445 un navire négrier portugais conduit par Conzallo de Cintra, échoué sur un banc de sable, est attaqué par les habitants de la côte qui en massacrent tout l'équipage. Plusieurs autres expéditions esclavagistes se soldent par un échec cinglant et Henri le navigateur tente de restaurer la paix avec les maures et de nouer avec eux des relations commerciales. Après un siècle et demi de contacts (1430-1580) le bilan de l'installation portugaise en Mauritanie est plutôt maigre : un seul établissement sur le minuscule ilot d'Arguin. Une sorte de "modus vivendi" s'établit entre les deux peuples : les portugais cessèrent de capturer les maures et s'occupèrent plutôt de faire fructifier le commerce.

2ème période : Les rivalités européennes sur la côte mauritanienne - Tentative de diktat français
Avec l'exploration des côtes africaines de nombreux comptoirs sont créés. L'Afrique devint rapidement un maillon essentiel de négoce européen. Il fallait fournir les Amériques en main

laisser amollir les cœurs, de voir s'enrayer les fusils et dont on ne peut bafouer ni les droits, ni les coutumes.

Il se demandait s'il ne devait pas d'ailleurs couper définitivement l'attache, le dernier cordon qui le lie au monde de l'éternel abandon.

IL connaissait l'istoire , tant vantée par son pére de ce guerrier qui collaborait avec les " Nssaras" et qui, une nuit , happé par l'attrait irrésistible des grands vents , avait pleuré en silence avant d'enfoncer un poignard dans la gorge d'un officier qu'il respectait . Il avait ainsi , disait son pére , extrait la derniere fibre qui le rattachait à l'occupant . Il s'etait irrémédiablement rangé dans les dissidences , les razzias , la révolte incessante des fiers esprits

Lehbib savait bien qu'il ne serait jamais capable d'un tel acte . Parce qu'il avait plus que du respect pour Duport . Parce qu'il savait que la - bàs dans la terre des "Nssaras " une vieille femme attendait le retour de son fils

Lehbib se releva sans bruit , attrapa d'une seul main son fusil , déposa sa ration d'eau puis s'enfonça dans la nuit

Le capitaine Duport suivit des yeux la silhouette fuyante de son ami. Il avait senti depuis plusieurs jours que le vent du large l'appelait .Ilavait lu dans ses yeux les signes de la révolte et de l'évasion .Pour la premier fois de sa vie , il ne savait que faire .Allait t'il troquer son devoir contre une amitie? Allait t'il laisser Lehbib rejoindre les combattants des grands sables ?

Il esquissa un geste pour se saisir de son arme , il amorça un pour alerter la sentinelle .Mais il se tut enfin . Sa gorge s'etait nouée , ses membres s'etaient enkylosés.
Il laissa Lehbib s'eloigner . Il etait mécontent de lui meme .Mais il etait fier de son jeune ami

CHEIKHOU

NOUVELLE:
NOSTALGIE DES GRANDS VENTS

Lehbib interrogeait le ciel. Il appellait les étoiles et écoutait avec attention les échos révélateurs du silence et parfois les murmures feutrés du vent. Aucune réponse ne lui parvenait. Il appuyait la tête sur un sac à dos et regardait la nuit.
Le désert entier s'asssoupissait, se reposait de la longue journée de feu. Aucune voix ne répondait aux questions désespérées de Lehbib. "Saurais-je retrouver le langage du vent". Il serrait contre lui la dure crosse de son vieux fusil et le contact du métal froid avec son flanc nu ravivait sa douleur. "Pourquoi ai-je donc accepté ces boubous blanc et bleu, cette monture qui n'a pas d'histoire, ce fusil qui n'a pas d'honneur ?".
Un geignement doux traversa le silence. Une tâche claire remua dans le noir. C'était le capitaine Duport, son meilleur ami. Une tête blonde mais digne, des yeux bleus mais bons, une bouche fine et qui sait bien parler. Il l'avait connu il y a dix ans. Lehbib était prisonnier, enchaîné, meurtri. Il fixait avec haine ses géoliers, ces hommes venus d'ailleurs et qui troublaient la quiétude des siens. Cette "racaille qui avait conquis le territoire des maîtres "comme disait son père.
Soudain, un homme s'éleva d'entre les soldat et se dirigea vers lui. Un "nessrani" très blond qui portait un uniforme sans insigne. Il souleva la tête de Lehbib, le regarda dans les yeux un instant et se présenta à lui, en arabe, d'une voix calme, avec respect : "Lieutenant Duport". Depuis ils devinrent amis.
Plus tard le capitaine Duport (il le devint deux années après) lui expliqua "j'avais lu dans tes yeux la fierté et l'enfance".
Le capitaine Duport s'était donné comme mission de comprendre et d'expliquer à ses supérieurs "le fond de l'âme indigène". Lehbib l'accompagna de campement en campement. Duport dépassait les limites même de sa mission. Il était tombé amoureux de ce désert qu'il voulait seulement comprendre. Lehbib l'aida à améliorer son vocabulaire arabe, à parler couramment Hassaniya. Duport lui apprit en retour à s'exprimer en français. Il lui enseigna même quelques rudiments d'écriture. une amitié saine et profonde les lia peu à peu.

Mais ce soir là, malgré la fraîcheur des vents, Lehbib avait le cœur sec. Il rêvait de se désaltérer. Il était assoiffé des horizons infinis, des longues chevauchées, des tentes qu'on dresse et qu'on plie le lendemain. Il voulait la violence des vents, l'ardeur des soleils, le culte des dangers. Il avait perdu tout celà parce qu'il s'était complu dans la vie des camps, dans les tournées rituelles entre les campements amis.
Le capitaine Duport continuait à dormir, les mains jointes sous la tête en forme d'oreiller.
Lehbib se disait qu'il lui fallait rompre l'envoutement de cette calme amitié et de ces yeux compréhensifs s'il voulait retrouver le monde des vionlences, des sables mouvants, des razzias où on perd la notion des choses et parfois un ami. Ainsi, il retrouverait le monde des passions, la dignité des hommes orgueilleux qui refusent de se

Un livre dans un journal

Merveilleuse initiative que celle de l'UNESCO : elle a créé le tissu unissant le journal, carnet du quotidien à l'œuvre littéraire, miroir de l'éternel.

Le projet "livre dans un journal" vise à livrer au lecteur du quotidien, sans frais supplémentaires pour lui, une grande œuvre de la littérature chassique chaque premier mercredi du mois.

L'expérience qui a connu une très grande réussite en Amérique Latine, s'est maintenant étendue au monde arabe. Le quotidien "Chaab" a ainsi publié le 5 novembre dernier le premier livre de cette collection : "Extraits de la poésie d'Al Moutanabbi". Cette collection qui est supervisée par le poète arabe Chawghi Abd El Kerim se donne pour mission de choisir les œuvres maitresses de la littérature arabe, de les éditer tout au long de l'année, une fois par mois, grâce à un réseau de quotidiens. Les œuvres choisies paraitront ainsi le même jour dans tous les pays arabes.

Le coup d'envoi de cette initiative a été donné en 1995 à Grenade en marge de la célébration du 3e anniversaire du projet latino-américain "Livre dans un Journal". 14 quotidiens arabes, dont "Chaab", étaient présents.

La seconde réunion, tenue à Abu Dhabi, du 28 au 29 novembre 1996 vit la présence de 17 quotidiens arabes, et se pencha sur le choix des œuvres à éditer. Le projet qui n'est pas financé par l'UNESCO jouit de l'appui de l'entreprise Sakhr et de la maison Zayed El Arabi. De plus, chaque journal dispose librement de la dernière page pour faire publier des annonces publicitaires.

Le quotidien Chaab a eu l'heureuse initiative de consacrer la dernière payge à un ancien poète et érudit mauritanien, Mohamed Ould Abdalla Ould Tolba El Yacoubi. Cette page financée par l'homme d'affaires (et l'un des très rare mécénes du pays, Ahmed Saleck Ould Bouh présente l'œuvre de ce poète mauritanien encore mal connu.

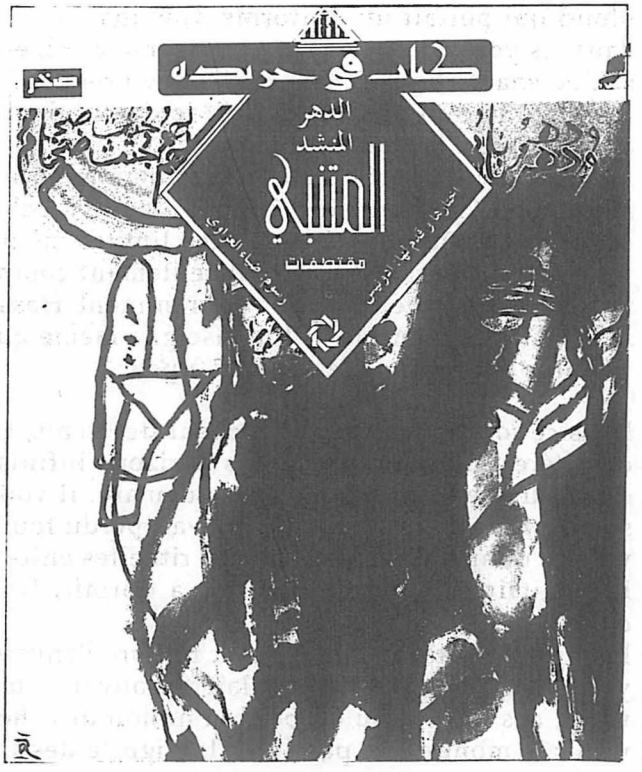

Mauritanie. Il y a les CLAC dont on parle maintenant parce qu'on vient de les inaugurer. Mais on travaille en matière d'énergie éolienne, en matière de péche. On a soutenu le musée de Nouakchott et on est en train de voir la possibilité de mettre toute sa collection sur CD-Rom. On a reéquipé complètement les presses pédagogiques. Nos programmes de formation à distance vont se déployer complètement en Mauritanie. On a soutenu les villes anciennes. on a beaucoup travaillé avec le ministère de la justice en matière de coopération juridique. Enfin, on a soutenu ces dernières années la production de 3 cinéastes mauritaniens

Al Mawqib : D'A^C C T vous êtes devenus "Agence de la Francophonie" ce changement de vocable symbolise-t-il une nouvelle mission ?

M. Jean-Louis Roy : C'est un vieux débat. L'ACCT aurait pu etre chinoise, brésilienne ou japonaise. Certains souhaitaient que ça reflète plus directement ce qu'on a en commun c'est à dire la langue française. Le changement de nom n'exprime pas un changement de vocation.

Al Mawqib : Aujourd'hui, pour beaucoup de peuples, l'anglais est la langue internationale , pour les affaires surtout. Le français saura-t-il se faire une place ?

M. Jean-Louis Roy : L'anglais est une grande et belle langue. Je l'ai enseignée pendant longtemps. Nous les francophones, on n'est pas en train de se battre contre l'anglais. Ce serait absurde. Si c'est une guerre on va la perdre. Si c'est la volonté d'occuper un espace et de faire occuper à toutes les langues y compris l'arabe, un espace dans les réalités culturelles et scientifiques du monde, je pense qu'on a une chance raisonnable de nous en tirer.
La langue la plus parlée dans le monde n'est pas la langue anglaise. Elle vient très loin après le chinois et l'hindi. C'est une langue qui a réussi à développer une espèce d'idiome très limité et qui permet à beaucoup de la parler un peu partout et de faire des affaires. Mais la langue française est l'une des douze langues parlées par plus de 100 millions de personnes. Elle est parlée sur les cinq continents. Elle est toujours l'une des deux langues étrangères les plus enseignées dans le monde. Elle a un statut juriique dans 50 pays. Dans la réalité des langues, la langue française reste' une des grands langues du monde.

Al Mawqib : La prochaine conférence de Hanoï paraît très attendue. Pourquoi ? Nouvelle politique ? Nouvel élan ? Restructuration ?

M. Jean-Louis Roy : Il y a beaucoup de continuité dans le changement. Ce qui est intéressant à Hanoï c'est que d'abord le thème du sommet est la "coopération économique". Je crois que c'est très important. Ce qui est intéressant aussi à Hanoï c'est qu'on sera en Asie et qu'il y aura tous les pays de l'Asie du Sud-Est regroupés au sein de l'ASEAN) comme observateurs. Ce qui permettra de faire connaître la francophonie en Asie.
Ce qui est intéressant aussi c'est que les chefs d'Etat vont élire un secrétaire général. Moi j'ai été élu par les ministres des affaires étrangères. Pourquoi ? Il y avait la filière agence qui est née à Niamey en 1970, il y avait la filière sommet qui est née à Paris en 1985. Il fallait unifier les deux filières, en faire une synthèse et dans les éléments de cette synthèse, il y a la volonté des chefs d'Etat de s'simpliquer d'une autre manière en élisant eux-mêmes le secrétaire général.

M. Jean-Louis Roy, secrétaire Générale de l'Agence de la Francophonie :

"Le monde est pluriculturel"

En visite dans notre pays pour inaugurer des centres de lecture et d'animation culturelle (CLAC), M. Jean-Louis Roy, secrétaire générale de l'Agence de la Francophonie a bien voulu accorder une interview à Al Mawqib.

Al Mawqib : Francophonie et cultures locales : n'y-a-t-il pas parfois contradiction ? La Francophonie peut- elle être déculturation ?

M. Jean-Louis Roy : C'est en tout cas ce qu'on ne veut pas faire. Et voilà pourquoi :.dans les CLAC (on a vu ça à Aleg il y a 2 jours), il ya 50% d'ouvrages en français et 50% en arabe. Tous les pays francophones sont bilingues ou multilingues à l'exception de la France, et mon pays, le Canada, est un pays bilingue comme la Belgique, la Suisse, Maurice, le Maroc, la Mauritanie et la France, aussi dans l'Europe est confrontée au multilinguisme. Le monde est comme ça. Il est pluriculturel. Une francophonie qui ne reconnaîtrait pas cette réalité là serait vouée à l'échec et n'aurait pas d'intérêt.

Ce qui fait l'intérêt de la francophonie c'est que nous avons une langue qui nous permet de faire un certain nombre de choses ensemble, de faciliter nos rapports. Mais on n'est pas des zélateurs de la langue française ni des missionnaires de celle-ci. Son statut, son développement nous importent beaucoup mais ce n'est pas tellement pour la langue elle-même que pour ce qu'elle nous permet de faire ensemble. Pour moi, toutes les langues sont égales. Il n'y a pas de langues supérieurs ni de langues inférieures. Dans l'action de la Francophonie, que ce soit le CLAC ou autres, une majorité des ouvrages sont édités dans les langues nationales. Ici la moitié des ouvra sont en arabe et c'est normal. On soutient des émissions de radio, des productions audiovisuelles, la production de films dans toutes les langues de l'espace francophone.

On a soutenu des cinéastes travaillant en arabe comme Youssef Chahine. Pour nous, c'est normal.

On a une grande entente avec l'ISESCO depuis 1990 pour faire ensemble un certain nombre de choses dans les 16 pays membres de l'ISESCO et de l'Agence.

C'est la plus importante entente que nous ayons en terme de coût et de budget. Et toutes nos activités à travers cette entente se font en arabe et en français.

Alors est-ce qu'il y a un danger d'acculturation ? Oui si on n'était pas soucieux de reconnaître la réalité du bilinguisme, du multilinguisme, du biculturalisme et du multiculturalisme.

Al Mawqib : La Francophonie c'est aussi la coopération, où en est votre coopération avec la Mauritanie ?

M. Jean-Louis Roy : Ici les gens apprécient cette coopération. Tous nos programmes se déploient en

tale dans l'universalité de son thème de prédilection (l'Evocation des Lieux). L'amour est aussi un thème universel me dirait-on. Certes mais la poésie de Ould Adoubba ne réunit-elle pas, en un seul élan lyrique, le thème de l'amour et celui de l'évocation des lieux ? Chaque poème de Ould Adoubba célèbre un lieu particulier du Tagant à une période donnée, presque toujours révolue (Echwi, Lahraj, Moutboul Acharim, Rachid...). Il s'agit, dans chaque poème d'un recueillement sur une ruine (talal) et de l'évocation nostalgique d'un temps qui n'est plus, des joies qui ont déserté le cœur :

Toumoujeyj la Verte a traversé l'hiver,

Vide de toute créature et le printemps est passé sur la Blanche Toumoujeyj qui'a déroulé sa beauté Et pas une âme n'est venue y chercher son bétail. (3)

C'est toujours le souvenir qui se trouve à l'origine de l'inspiration, et c'est souvent le vécu qui, par ses contrastes avec le passé, réveille le souvenir. Dès lors, les lieux que l'auteur chante prennent facilement les allures d'un paradis perdu, et chaque poème est une tension entre un passé hautement magnifié et un présent devenu, parce qu'il constitue une déchéance de ce passé-là, négatif.

C'est le "Bukâ Ala Al Attal" de la poésie anté-islamique, la nostalgie angévine de Du Bellay... Le thème du "Paradis perdu" qu'on cherche, par le Verbe, à retrouver, des joies que l'âme aspire à revivre est universel.

Et c'est de là que la poésie du Ould Adoubba tient, sans doute, son audience et sa perpétuité. Le Tagant du poète n'est pas seulement le Tagant en soi, pays des montagnes et des oueds, pays des dunes blanches et des belles oasis. Echwi, Lahraj, Echarijm... ne sont pas seulement des localités tagantoises qu'aujourd'hui la vie abandonne. Bien plus, il s'agit de lieux moins "incarnés" parce que "n'existant plus" tels qu'ils furent" le bonheur du poète, des lieux devenus mythiques. Chacun peut donc s'y retrouver parce, que chacun a, quelque part, mythifié un lieu.

Poète universel, Ould Adoubba l'est déjà, dans ses œuvres. Il peut le devenir dans les faits, si sa poésie sortait de la "prison" que constitue pour elle, désormais, le hassaniyya que les maures délaissent scandaleusement de nos jours. Il peut le devenir dans les faits si on le traduisait, le publiait, le diffusait.

En attendant, Toumoujeyj la Verte promenera toujours, dans nos souvenirs, les beautés d'un Mauritanie paradisiaque et, au-delà, d'une terre plus douce, plus clémente, plus habitable. Un pays mythique pour oublier les insultes du présent à ceux que nous sommes dans l'âme.

Idoumou Ould Mohamed Lemine
Professeur

Mohamed Ould Adoubba, poète universel

Mohamed Ould Adoubba est mort il y a presque un demi-siècle. Au Tagant même, la terre que ses poèmes ont célébrée dans sa splendeur et sa verdoyance. Il est mort, et ce Tagant-là, a fait place à un pays nu que les vents de sables chroniques et les canicules à longueur d'année dénudent chaque jour un peu plus. Il est mort, et la poésie Hassaniyya se meurt doucement, atteinte dans ses contenus et ses formes par l'archaïsme et - paradoxe ? - la langue standard de la civilisation technicienne. Mais quelque chose de Ould Aboubba demeure : sa poésie. Toute la Mauritanie la déclame toujours, perpétuant le Tagant tel que le poète l'a vécu, aimé et célébré.

Echwi, quand on y allait encore`
Nous y sommes allés...

Pourquoi cette poésie, pourtant très marquée "régionalement" parce qu'exclusivement consacrée au Tagant natal de Ould Adoubba est-elle aussi "nationale" que n'importe quelle autre; surtout quand on sait que les poèmes ne se transmettaient que de buche à oreille s donc très lentement ? Pourquoi partout où l'on va en mauritanie, il se trouve toujours quelqu'un pour vous déclamer, nostalgique de je ne sais quelle terre natale.

"Had Açyl V'Taganet Cham
Nâved'ha Lâgui Anha Am..." ? (2)

Nous savons que Ould Abouba a composé plusieurs chefs-d'œuvre de poésie amoureuse ("Aïni Mulât (T'Ghaywîni...") mais il a surtout excellé dans le "nesib", poème où le lieu est certes métonymique de l'Aimée, mais dont la thématique est essentiellement centrée sur la Terre et ses corrélats. Cette poésie a le privilège d'être tolérable par les milieux maures puritains, et de pouvoir donc circuler plus facilement que la poésie de Ould Ahmed Youra, réputée plus explicite sur l'Aimée, voire même "choquante" pour certains milieux maures de l'époque. L'une des raisons pour lesquelles les élégies tangantoises de Ould Adoubba sont si répandues est sans doute que sa poésie "ruse" avec le puritanisme ambiant, et peut donc être déclamée sans provoquier d'appréhension chez les gardiens de l'ordre rigoriste. Mais ce n'en est, de notre avis, qu'une des moins principales.

L'audience de ce poète et la pérennité de ses œuvres trouvent leur raison fondamen-

importante de sa spécificité (...) Il est scientifiquement admis que quand une langue se met à l'école du "progrès" tel que nous le vivons aujourd'hui, elle perd une partie de son âme. Notre langue perd - a déjà perdu - toute la rhétorique développée autour des différents aspects de la vie nomade, des randonnées chamelières, de la galanterie.

La poésie du terroir n'existe plus, et quand bien même il s'en trouve qui s'émeut encore devant un spectacle hivernal, il n'a plus, pour le dire, que les mots exprimant la routine citadine, le temps qui n'existe presque plus ou les milles et une machines qui envahissent - et enlaidissent - nos splendides dunes de sable. La poésie amoureuse elle, résiste. L'amour est irrésistible. mais elle est devenue tellement "moderne", tellement au diapason de la vie d'aujourd'hui, que comparer la majesté d'une belle femme à "celle" d'une marque de voiture passe pour une image sublime, alors même qu'elle est d'une platitude déconcertante.

On ne peut taire le rôle que joue l'écriture dans le déclin de la poésie hassaniyya. Ecrire n'est certes pas nouveau chez nous. Mais jadis, écrire était réservé à une catégorie d'occasions et de faits culturels; il faisait figure, à côté de l'oralité, de fait marginal. Aujourd'hui la situation s'inverse. Phénomène universel dirait-on. Bien sûr. Mais il ne fait que commencer chez nous. Et nous avons l'avantage de savoir, déjà, où est-ce que le "tout-écrit" a mené les peuples qui nous ont précédés sur la voie de l'a-oralité. Pourquoi continuer à vouloir rattraper des marcheurs qui, déjà s'(en retournent parce qu'ils ont constaté que leur route conduisait à un précipice ? Le modèle culturel qui nous pénètre et ravage tout chez nous, notre poésie populaire en premier, est un échec certain. Plus d'un peuple, après l'avoir sacrifiée sur l'autel du progrès, cherche aujourd'hui à retrouver sa culture orale... En vain. la nôtre, nous l'avons encore à portée de réhabilitation. Elle bat encore dans nos souvenirs, dans l'amour que nous portonsà ce que nous fûmes (et que nous sommes encore dans l'âme), dans la jalousie avec laquelle nous résistons par certains comportements à la fusion aveugle dans l'autre, dans le regard sceptique que nous portons sur le modèle de civilisation qu'on nous lustre, dans le troupeau de chamelles qui arpente, au crépuscule les artères de Nouakchott de retour du pâturage....Il n'est pas trop tard, nous en somme confortés, pour que resurgissent parmi nous, des Ould Adoubba, M'Hamed Ould Ahmed Youra ou même Seddoum Ould N'Djartou. Pourquoi pas ? Il suffit seulement de se souvenir qu'en laissant disparaître cette partie très grande de notre patrimoine culturel, nous perdons tout sans rien gagner. Emboîter le pas au progrès peut vouloir dire, aussi, garder de soi ce qui fait sa spécificité.

Idoumou Ould Mohamed Lemine

même il se trouve certains "attardés" qui, de temps en temps, réussissent un gaf ou une talâa, leur œuvre ne vit que le temps de l'enthousiasme d'un ami, d'une griote ou d'une belle conquête. Plusieurs facteurs sont à l'origine de cette situation, on ne peut pire, dangereuse et à la longue mortelle pour notre authenticité culturelle.

Et d'abord, la radio.

Il est vrai que celle-ci, depuis sa création travaille, inlassablement, à conserver notre poésie traditionnelle. Il est vrai aussi que, dans une certaine mesure, elle a réussi ce pari presque insensé. Mais ce faisant, elle a rendu, de notre avis, au moins deux mauvais service à la poésie Hassaniyya :

1) Elle a eu trop tendance à se substituer à la mémoire collective (que d'ailleurs ne peut exploiter que partiellement) et ce en s'érigeant en "autorité unique" en matière de poésie orale, au risque de consacrer ses erreurs et d'instaurer ses oublis (ceux de ses sources également) comme des "références" : des pièces monumentales sont récitées sans en nommer l'auteur, ni l'époque ni même les circonstances (qui sont souvent très indispensables), d'autres sont attribuées, à tort, à quelqu'un qui n'en est pas l'auteur (...). Cela n'a rien d'étonnant quand on sait que l'authenticification d'un fait oral requiert un travail de recherche immense et une investigation minutieuse. Choses dont, à la radio, on n'a pas toujours le temps (...).

2) La radio a desservi la posésie Hassaniyya sur un autre plan : celui de la production. Nous mentionnions là-haut la spontanéité de la production et la liberté relative du créateur, en situation réelle. A la radio spontanéité et liberté ont été toujours, sacrifiées au nom des "convenances" et de l'engagement. Qui a oublié les leçons (!) de poésie où on apprenait aux jeunes candidats O. Aboubba comment dire leur vie intérieur, sans risquer de mettre dans l'embarras les membres d'une bonne famille réunie autour d'un thé ? Il s'agit, pour le candidat poète, d'apprendre à ne jamais "nommer" certaines choses, à ne jamais enfreindre certaines règles, notamment celles de la pudeur (Sahwa) (...) obligé de naviguer, quelque part entre la violence de ses sentijments et la rigueur du code (imposé par le maître-poète) entre ce qu'il veut dire -- ce qui se dit en lui - et ce qu'il peut dire, (notre jeune apprenti-poète) court le risque permanent de tomber dans la platitude de l'artifice s'il veut produire quelque chose de "diffusable" (...).

D'autres facteurs participent, activement, à la "fermeture" du "ghne".

la sédentarisation massive en est un, et elle l'est d'autant plus qu'elle favorise la standardisation du hassiniyya et son adaptation aux exigences du mode de vie nouveau. La hassaniyya des villes, surtout celui de Nouakchott (...) n'est pas poétique. C'est la langue de l'utile, du quotidien (...) Il est, d'autre part, en pleine évolution, suivant en cela la société mauritanienne. Si d'un côté il s'enrichit chaque jour de mots nouveaux, il ne s'arrête pas, de l'autre, d'en perdre, s'appauvrissant ainsi d'une portion de plus en plus

Poésie Hassaniyya

Quelques aspects du déclin

Jadis, la traite des laitières terminée, la jeunesse du campement se retrouvait, sur la dune à côté, autour d'un concert improvisé (Chenna). Les jeunes filles - parfois aussi les garçons les moins timides - chantaient alors des airs que, de tradition, on appelle "de l'ombre" (Choueïrat Edhal). Ivres de lune et l'inspiration aguichée par la voix fluette de la bien-aimée, des poètes se trouvaient toujours qui, par l'improvisation, arrachaient la soirée à la platitude de la répétition, du genre fermé. La poséie qui naissait alors était d'autant plus réussie qu'elle était spontanée, libérée de toute contrainte; venant tout droit du cœur : les parents dormaient déjà: on était entre jeunes.

Jadis, une randonnée chamelière, un éclair intermittent, l'écart des dents d'une femme ou un grain de beauté sur le visage d'une autre inspiraient, selon le moment, le poète et il les célébrait, comme ils avaient atteint sa sensibilité, comme ils avaient stimulé son imagination. Le poème qui naissait alors (éloge d'un lien)temps ou hymne à une beauté) ne s'embarrassait pas de convernances, ne sentait le poids d'aucune censure, la sienne exceptée, bien sûr. On pouvait dire à la femme de son rêve qu'elle a de beaux yeux ou que son sourire illumine sa muse, célébrer le lieu où, pour la première fois, on a osé toucher le bout de son voile ou rapporter la conversation qu'on a eu avec elle en aparté, respectant certaines exigences du genre et, certes, une certaine pudeur de la société maure mais, en toute liberté.

Jadis, un poème, tout petit soit-il avait toujours sa place dans les veillées autour du feu, les concerts musicaux ou même la conversation quotidienne. "Tfel B'gavou" était, en soi, une distinction très haute. Les plus belles pièces traversaient, très vite l'immense Mauritanie dans tous les sens, portaient la réputation de leurs auteurs dans les coins les plus reculés du pays. On savait réciter la poésie, on savait célébrer le poète. Qu'on en juge par la fidélité avec laquelle la mémoire collective a retenu - et répandu - les œuvres de Seddoum Ould N'Djartou, L'kevyé Ould Bouceif, Brahim Ould Bakar (dit Ould Brahim) ou encore, plus récemment M'Hamed Ould Ahmed Youra, Mohamed Ould Adoubba, Ould L'Gasry... etc.

Aujourd'hui, la posésie Hassaniyya est en train de se transformer, à "ouie d'oreille", en un genre fermé. Pratiquement : on n'en compose presque plus et quand bien

Les chambres

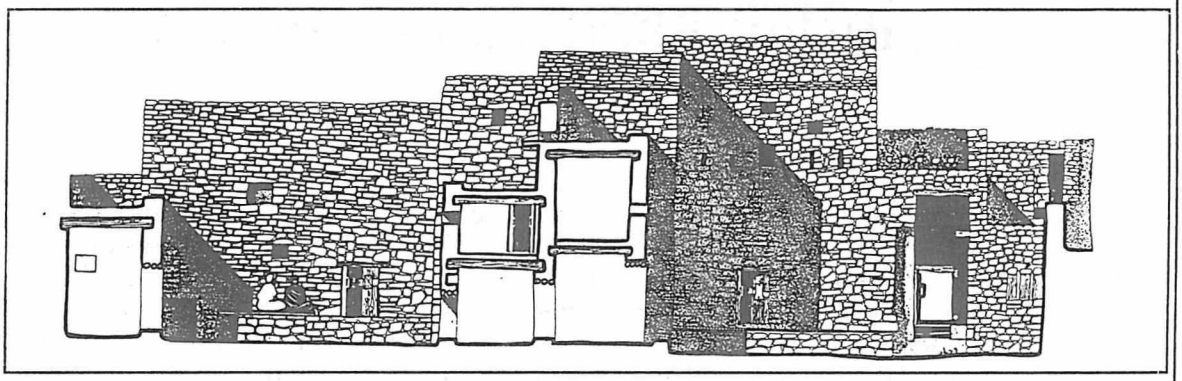

Plus petites que le salon, elles ont souvent des portes basses ouvrant sur la cour. A l'intérieur des trous d'aération laissent passer l'air et des étagères

disposées aux coins permettent de ranger les livres et les objets précieux.

La recherche sur l'architecture locale reste précaire. Aucun vrai travail scientifique, à part ceux, intéressants mais sommaires réalisés par l'IMRS et par Abdel Weddoud Ould Cheikh, n'a été accompli dans ce domaine.

Pire, l'architecture traditionnelle est en train d'être définitivement enterrée par le béton armé. De véritables chefs-d'œuvres sont chaque année détruits et remplacés par de vulgaires demeures "modernes". Il est du devoir du ministère de la culture et des municipalités de s'essayer à préserver ce qui reste encore de cette véritable richesse culturelle de la nation.

A lire : Architecture mauritanienne de l'Adrar; édité en 1987, par l'IMRS et le Centre Culturel Français de Nouakchott

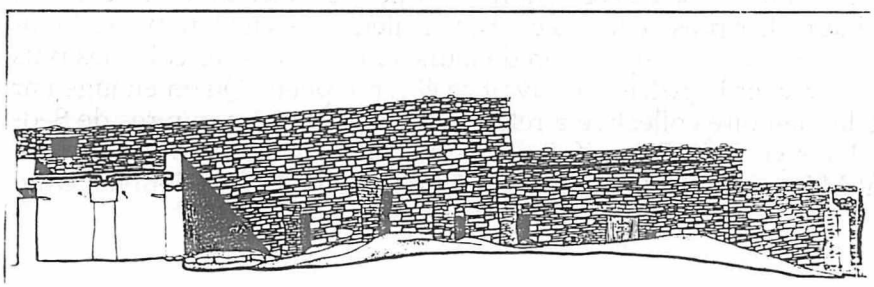

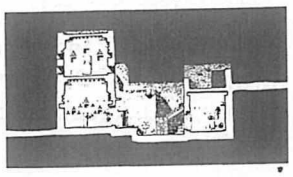

Institut Mauritanien de Recherche Scientifique

Centre Culturel Français de Nouakchott

L'habitat et son architecture

Les maisons ont souvent l'air de petites forteresses, avec une seule ouverture à l'extérieur soigneusement renforcée : la porte.

L'entrée

La seule entrée est généralement la porte, faite en acacia Talha assez dur et dont la clé très longue, s'introduit dans une serrure à chevillette et à peigne de près de 20 cm. La porte donne souvent sur un vestibule qui ouvre généralement sur une cour.

La cour

Libre de construction, la cour de la maison très large généralement est un lieu essentiel d'habitation, l'on étale les nattes sous l'ombres des murs, les enfants y jouent, et la nuit venue, les habitants y dorment s'il ne fait pas très froid. Les demeures importantes ont parfois deux cours, reliées par un couloir généralement. Le rôle de couloir est joué parfois par une chambre qui divise ainsi la maison en deux.

Sur la cour ouvrent les toilettes et la cuisine.

- Les toilettes sont en fait une chambre sans plafond. On y accède par des escaliers et l'on se maintient sur des poutres faites de troncs de palmes posés parallèlement. Une fénêtre au ras de ce "knif" permet le vidange, qui sert d'engrais aux cultures.

- La cuisine (Tehnet) a un intérieur noirci par la fumée. Des pierres posées triangulairement forment le foyer où l'on dispose les marmites. La cheminée est un trou creusé dans le plafond

- Le salon (sigve)

Centre de la maison, lieu du maître de foyer où l'on s'assemble pour boire du thé, pour palabrer et où l'on doit parfois. Elle servait même parfois de boutique. Les marchandises etaient disposées dans un coin et l'acheteur était reçu comme un invité.

Le mur de la "sigve" est décoré de niches où l'on dépose des objets encombrants. L'ameublement est fait de nattes, d'oreillers décorés et de peaux de moutons.

Aoujeft

la cité fut fondée probablement au 17e siècle par des populations venue d'Aboueir et de Chinguetti. L'architecture d'Aoujeft est caractérisée par la disposition horizontale de plaques de grés abondant et varié, et par l'appareillage étonnant de pierres aux joints secs. Il n'y a pas comme dans les centres cités de l'Adrar un enduit de surface, la qualité du matériau utilisé en dispense largement Aoujeft.

Atar

Fondée au 17e siècle, par des chinguittiens dissidents, Atar, "ville nouvelle en langue Azer a, au fil des siècles renforcé sa position avant de devenir dès le début du siècle la principale ville de l'Adrar.

Le Ksar d'Atar (Garn El Gasba aujourd'hui) garde encore les traces de ce que fut l'ancienne ville : ruelles étroites, tortueuses, débouchant toutes sur le centre spirituel, la mosquée. Les murs sont baties de pierres aux jointures invisibles, ou en brique d'argile sèche. Pas d'ornements dans la vieille cité où l'austérité est la règle, mais des lucarnes savamment disposés, des stipes de plamiers ressortant dans les rues, des étages et des terrasses, des escaliers visibles de l'extérieur donnent à la vieille ville un remarquable aspect architectural.

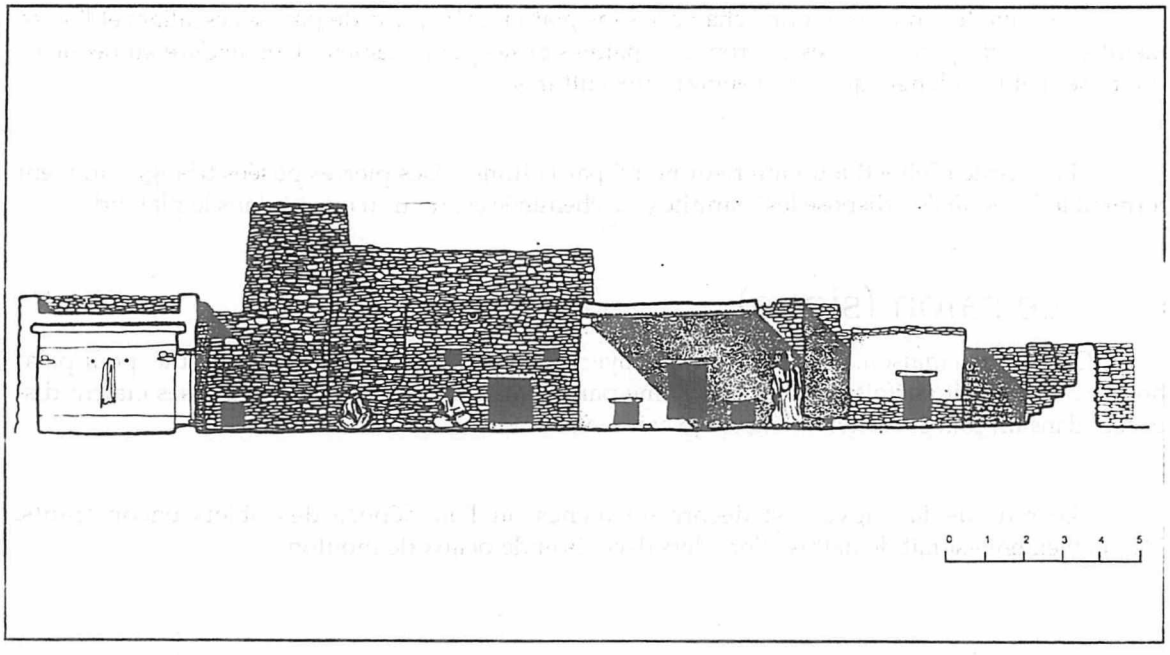

Ouadane

Ouadane, les deux oueds dit la tradition l'un de dattes et l'autre de savoir. Fondée dit on au 12e siècle, par des émigrés venus du Touat, elle fut avant Chinguetti, la plus grande cité du désert, et le plus grand rendez-vous caravanier de la région.

Aujourd'hui, le spectacle hallucinant de ses superbes ruines atteste encore du passé glorieux de la cité. Certaines constructions possèdent des façades qui, hier, servaient de remparts. Une énorme porte fortifée protégeait l'entrée de la ville. Les murs sont en pierres taillée de couleur rose ou grise. Ils sont recouverts d'enduit d'argile.

Chinguitti

Chinguitti, septième ville sainte de l'Islam, est née, selon la tradition, en 660 de l'hégire au 13e siècle. Elle connut un apogée entre le 17e et le 19e siècle. Rendez vous annuel des pélerins et du commerce caravanier, elle occupa longtemps la première place d'un pays qui porta son nom : le

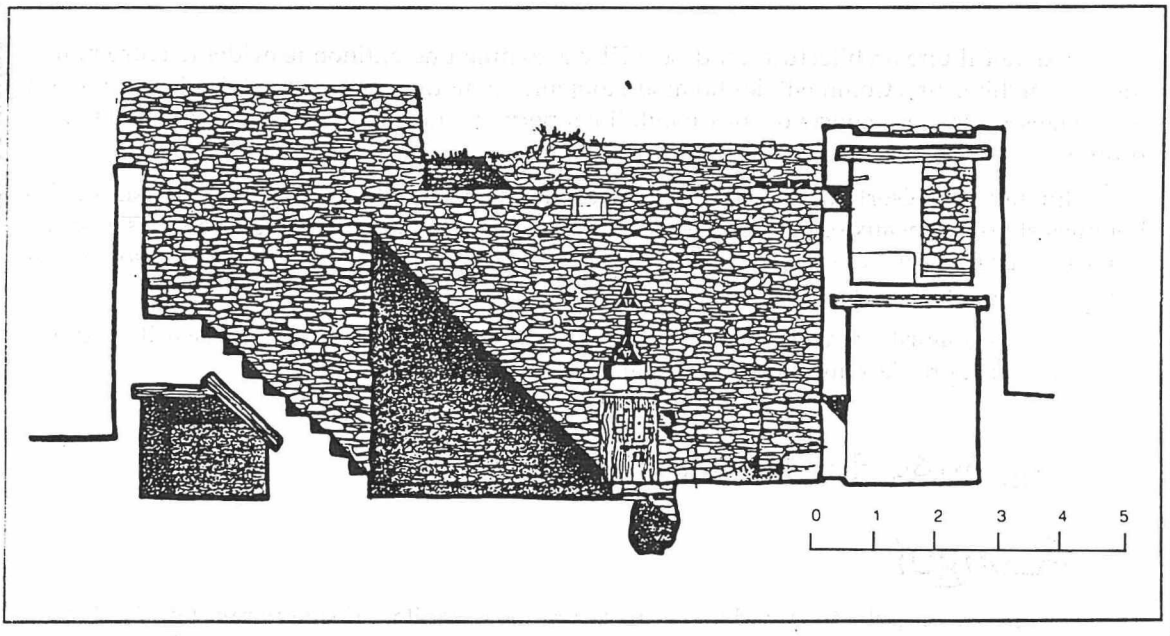

"Bilad Chinguitt", Ville de science, de religion et de commerce, Chinguitti reste encore le symbole de la Mauritanie de toujours. Son architecture reste remarquable. Les pierres sont de grés ocre, rose ou rougeâtre ce qui donne une coloration bigarée, elles sont taillées avec finesse. Les murs extrêmement lisses, les terrasses étagées qui se suivent, les décors classiques d'alvéoles triangulaires et de palmes, les coins de rues arrondis, donnent à Chinguetti une merveilleuse architecture.

Architecture des cités-oasis

par M'Bareck Ould Beyrouk

Existe-t-il une architecture du désert ?Il y a comme une antinomie évidente entre nomadisme et architecture. Comment des hommes, toujours en mouvement, courant derrière la pluie et les nuages pourraient concevoir des habitations permanentes, inventer un style architectural propre ?

En fait, le désert n'est pas désert. Il est parsemé d'haltes, de fraîches oasis où les hommes et les troupeaux se reposent, où l'on trouve en toute période, un peu d'eau (pas assez en tout cas pour les dromadaires), des plamiers et des toits. Ces oasis se sont étendues et sont devenues au fil des siècles de véritables cités.

L'Adrar mauritanien, escale naturelle des grand nomades a abrité des oasis-cités ou une architecture propre s'est au fil des siècles dégagée.

Les cités de l'Adrar

Azougui

Avant Marrakech,et Grenade, elle fut la première capitale des almoravides. Au 11es la "madinat El Kilab" se rendit devant les troupes d'Abou Bekr Ibn Omar et devant la force spirituelle de l'Imam El Hadrami; Les ruines d'Azougui offrent aujourd'hui encore l'image d'une cité très anciennes. De fortes murailles semblent avoir entouré la ville, des bastions étaient élevés en avant et aux angles de la forteresse.

Le site archéologique actuel fait ressortir la présence de nombreuses maisons, aux murs épais, aux cours vastes, situées à l'extérieur des palmeraies. Il ne reste malheureusement plus de temoignage vivant de l'architecture d'Azougui. Les seuls témoins sont des ruines.

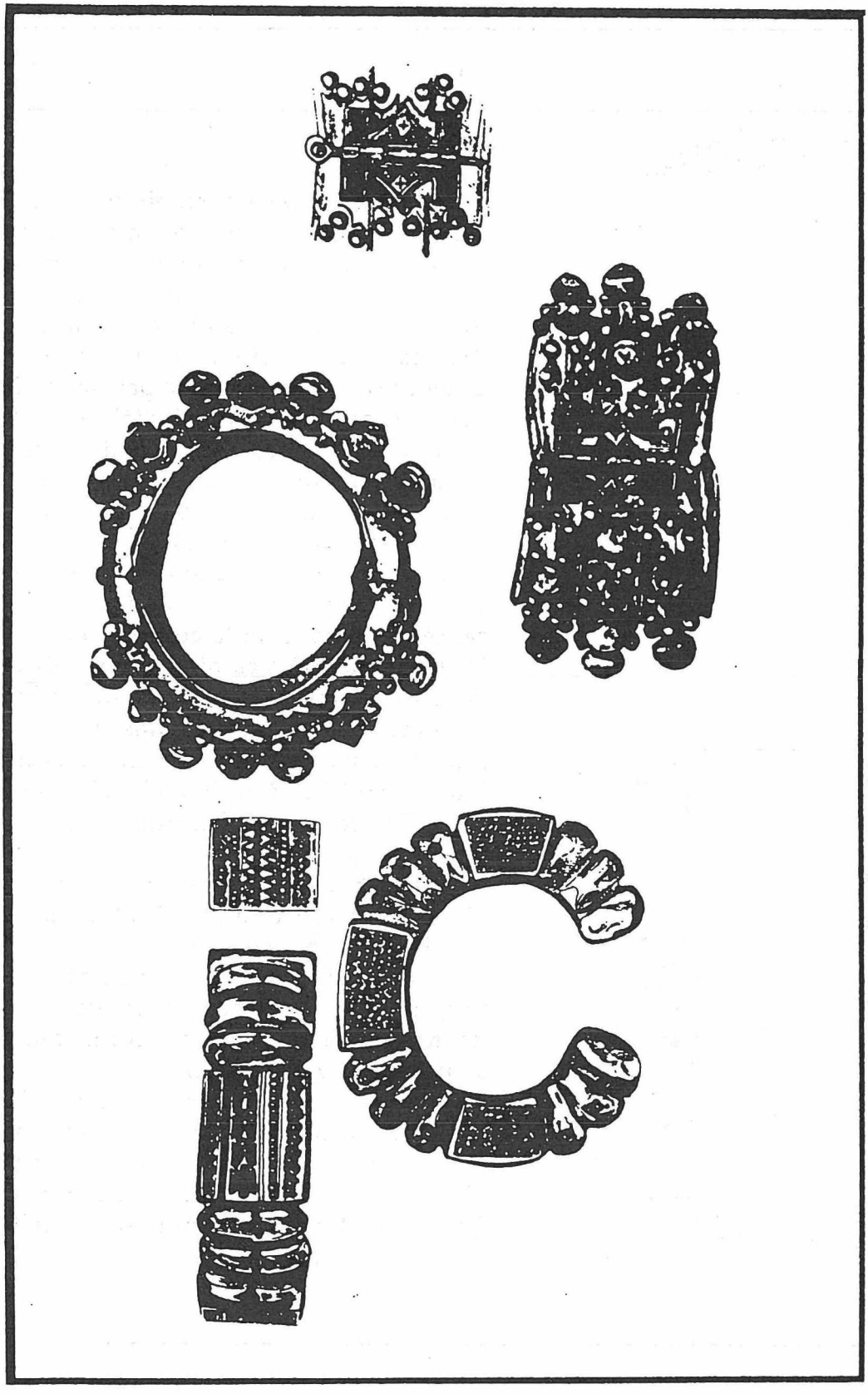

EDITORIAL

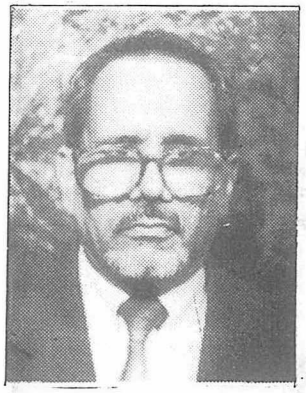

Ely Ould Boubouth

Secretaire Général de la Commission Nationale de l'Education, la Science et la Culture

Cher lecteur

Il nous est toujours agréable de te rencontrer à ce rendez-vous de la confiance et du don de soi que nous nous donnons chaque fois sur la tribune dressée par la Commission Nationale pour l'Education, la Science et la Culture. Cette tribune ne l'oublions pas ne serait pas née sans la volonté affirmée du Président Maaouya Ould Sid'Ahmed Taya de soutenir la science et la culture. Notre revue "El Mawqib" n'est que le reflet de cet engagement là.

El Mawqib continuera ce véritable combat qu'est cette recherche de la connaissance, cet amour de la culture qui sont les idéaux tous les assoiffés du savoir et de l'art. Nous savons tous que plus s'agrandit le volume de nos connaissances, plus s'élargit le cercle de notre ignorance. C'est à cette recherche éternelle du vrai et du bien que nous voudrions vous appeler.

El Mawqib ne saurait survivre sans vos réactions, sans votre contribution, sans vos diverses compétences.

Dans ce douzième numéro de notre revue, nous vous offrons un nouvel fruit de nos efforts. Nous espérons ainsi avoir répondu à vos attentes.

Nous espérons surtout, encore une fois, recevoir vos appréciations, vos suggestions et vos écrits en matière d'éducation, de science, de culture pour qu'à votre tour vous donniez le meilleur de vous-même.

Pénétration Coloniale et Résistance en Mauritanie

Architecture des cités-oasis

NOUVELLE:
NOSTALGIE DES GRANDS VENTS

Poésie Hassaniyya

Quelques aspects du déclin

Un livre dans un journal

M. Jean-Louis Roy, secrétaire de l'Agence de la Francophonie : "Le monde est pluriculturel"

Mohamed Ould Adoubba, poète universel

Responsable de Publication:
Ely O. Boubouth

Directeur de la rédaction:
Mohamed lemin O. Mounir

Directeur technique:
Mouhamedou O. Hdhana

Assisté de :
Ahmed O. Cheikh
M'Bareck O. Beyrouk
Ahmed Salem O. Boubouth

Secretariat de rédaction:
Ahmed Jiddou O. Med

Ont Collaboré à ce numéro:
Mbareck O. Béyrouk
Idou,ou Ould Mohamed lemine
Ahmed O. Cheikh
Abdellahi Fall

PAO:
Infotex - ABAS
Tél: 57568
App. Mamy 2éme Etage N° 20

Ce numéro à été édité par la Commission Nationale pour l'Education, la Science & la Culture
Tél: 54803 - BP: 5115 Nouakchott - Mauritanie

Tiré sur les Presse de l'Imprimerie Nationale

Al Mawqib

Al Thaghafi

Revue culturelle éditée par La Commission Nationale pour l'Education, la Science & la Culture N° 12 JUILLET - AOUT 1997

- Poésie Hassaniyya
- Quelques aspects du déclin
- Pénétration Coloniale et Résistance en Mauritanie
- Architecture des cités-oasis
- Mohamed Ould Adoubba, poète universel

Responsable de Publication: Ely Ould Boubouttt